الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات.
القسم: اللغة والأدب العربي.

المرجع:.....

جدلية الانتمـــاء واللاانتمـــاء في شعر الصعاليك "عروة بن الورد نموذجاً"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة : أدب عربـــي **التخصص : أدب عربي قديم**

إعداد الطالبـــة:
هـــــالة بن موسى.

إشراف الأستـــــاذ:
د. رابـــح الأطرش.

السنة الجامعية : 2013/2012

شكر وعرفان:

الحمد لله العلّيّ العظيم الذي منّ عليّ بنعمه فألهمني روح الصبر والمثابرة لأُتم هذا العمل، وما كان ليتم إلا بفضله وتوفيقه، أشكره شكراً عظيماً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد:

فإن القلم يعجز أن يسطر كلمات الشكر والتقدير لكل من كان له فضل أو مد يد العون في سبيل إخراج هذا البحث.

يسعدني في هذا المقام أن أتوجه بخالص الشكر إلى جميع أعضاء الهيئة الإدارية لمعهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي ميلة على إتاحة الفرصة لي للبحث والدراسة في جوّ علمي مفعم بالود والمحبة والاحترام.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ: رابح الأطرش لتكرمه بالإشراف على بحثي هذا، ولِما قدم لي من نصائح ثمينة، وأحاطني بعناية علمية إرشادية خاصة في جميع مراحل البحث، كما أتقدم بعظيم الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم وتكرمهم بقبول مناقشة مذكرتي وتقويم ما اعوّج منها، ولا يفوتني أن أوجه شكراً خاصاً للأستاذ البروفيسور محمد زلاقي على نصائحه وتوجيهاته الثمينة هو الآخر.

كما أتوجه بعظيم الامتنان وخالص الشكر والتقدير لوالديّ الحبيبين الغاليين على ما بذلاه من جهد ورعاية وعناية، ودفع وتشجيع، كي أصل إلى ما أصبو إليه، أطال الله عمرهما وأدامهما نعمة لي.

وأخيراً أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في انجاز هذا البحث، راجية من المولى القدير أن أكون من العارفين للناس فضلهم وأن يمكنني من رد الجميل.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمـــــة

مقدمـــــــــــــــــــــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت العصر الجاهلي بالبحث والدراسة، حتى يخيّل للباحث فيه أنه لم يعد شيء في هذا العصر، إلا وأخذ نصيباً وافراً من البحث.

ولو نظرنا إلى الشعر الجاهلي الذي هو المادة الأساس التي استقى منها الباحثون مادة أبحاثهم في معرض تلمسهم لمجاهل حياة العرب في الجاهلية بمناحيها: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

وقد كان الشعراء الصعاليك فئة جاذبة للدارسين والنقاد بما عرفوا من مواقف مميزة جعلتهم صورة مبكرة لمفهوم المعارضة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وأهمية هذه الفئة وصلابتها هي التي أَصلّتْ لجذورهم القوة في العصر الجاهلي، ولامتدادها التاريخي حتى عصور لاحقة.

ولا ريب أن ظروف العصر الجاهلي، والتي تمخضت عن معوقات تباينت بين المد والجزر، حرباً وسلماً، ترحالاً واستقراراً، غنىً وفقراً، أخرجت من رحمها شاعراً تلوّن بلونها وتشكل على شاكلتها، فكان **عروة بن الورد** الشاعر الذي راوح بين الانتماء للقبيلة دفاعاً واستماتةً ضد كل من تسول له نفسه المساس بأمن وشرف مضاربها، واللامنتمي الثائر على المجتمع الذي جعله يشعر بالظلم شعوراً قوياً سيطر عليه في كل مراحل حياته، والرافض لظروف الحياة التي سدت في وجهه سبل العيش الكريم، ومن هنا جاء عنوان البحث الموسوم بـــ:

جدلية الانتماء واللاانتماء في شعر الصعاليك ــ عروة بن الورد نموذجاً.

والإشكالية الأساسية المطروحة في هذا البحث هي: **ما مدى تأثير حياة عروة بن الورد في تشكيل شعره وتلونه؟، وهل كان للقبيلة حضور في شعره؟، وهل كان للاانتماء حظ في شعره؟.**

ويعود سبب اختياري لهذا البحث هو حب الاطلاع على حياة الشاعر الصعلوك **عروة بن الورد**، ومعرفة بعض جوانب حياته، وعن السبب الذي جعله ينهج نهج الصعاليك على الرغم من رفعة قومه، وأيضاً معرفة السبب الذي جعله يعتنق الصعلكة ويميل إلى اللاانتماء رغم أنه لم يكن من الخلعاء ولا الأغربة.

وأما عن الدراسات السابقة لموضوع شعر الصعاليك، فقد قدم **أحمد سلمان مهنا** رسالته لنيل درجة الماجستير حول "**المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام**" سنة 2007م، كما **قدم صغير بن غريب عبد الله العنزي** رسالته لنيل درجة الدكتوراه حول "**رؤية جديدة للعالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري**" وذلك سنة 1432هـ ، كما قدم **عبد العزيز بزبان** رسالته لنيل درجة الماجستير حول موضوع "**صورة المرأة في شعر الصعاليك**" سنة 2012م.

وتتجلى أهداف هذا البحث في الكشف عن بعض الجوانب من حياة الشعراء الصعاليك وبخاصة عروة بن الورد، وإلى إبراز هذه الظاهرة الشعرية التي شكلت نموذج الشاعر الصعلوك الذي ينتمي للقبيلة، والرافض لبعض الممارسات الاجتماعية السائدة آنذاك.

أما المنهج الذي اتبعته في بحثي هذا هو المنهج **التحليلي الوصفي**، حيث قسمت البحث إلى: **مدخل وثلاثة فصول وخاتمة**، وقد جاءت على النحو التالي:

المدخل: تناولت فيه العصر الذي عاش فيه الشاعر عروة بن الورد، والبيئة الجغرافية التي كانت تحيط به، إضافة إلى لمحة قصيرة عن حياته.

الفصل الأول: "**الصعلكة والصعاليك**" من حيث: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للصعلكة، وكذا استعمالات هذه اللفظة في الأدب، وأنواع الصعاليك وطوائفهم، إضافة إلى نشأة الصعلكة وأسبابها، وأشهر أعلامها، والصعلكة والإسلام، ثم الخصائص الفنية والموضوعية في شعر الصعاليك.

أما الفصل الثاني فتناول "**مظاهر الانتماء في شعر عروة بن الورد**"، وقدمت فيه: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظة الانتماء، والانتماء في الشعر الجاهلي، ثم مظاهر الانتماء في شعر عروة.

أما الفصل الثالث، وهو "**مظاهر اللاانتماء في شعر عروة بن الورد**"، وتناول هذا الفصل: مظاهر اللاانتماء في الشعر الجاهلي، وأسباب اعتناق عروة للصعلكة، ثم مظاهر اللاانتماء في شعره.

وختمت البحث بالنتائج التي توصلت إليها.

وأهم الكتب التي كانت لي عوناً في انجاز هذا البحث هي: **ديوان عروة بن الورد لسعدي ضناوي، و الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ليوسف خليف، وشعر الصعاليك: منهجه وخصائصه لعبد الحليم حفني**، وكذلك كتاب **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**، وغيرها من الكتب الثرية.

أما الصعوبات التي واجهتني أثناء انجازي لهذا البحث، هي ضيق الوقت، وقلة المصادر والمراجع في مكتبة الجامعة، إلا أنني رغبت معتمدة على **الله عز وجل** أن أقدم شيئاً ولو يسيراً أنفع به القارئ في محاولة مني تقديم صورة عن الشاعر الصعلوك ثائرًا ومهادنًا.

ويسرني في الأخير أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي: **الأستاذ الدكتور: رابح الأطرش**، حيث يسر لي –بعد **الله عز وج** – انجازه بفضل توجيهاته السديدة ونصائحه الثمينة، كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

المدخـــــل

أولا: عصر عروة بن الورد:

قبل أن أعرض لحياة عروة بن الورد يجدر بي أن أقدم لمحة عن الأدب الجاهلي بوصفه ظلل أنتجت هذا الشاعر، ووجهت حياته الفكرية والفنية.

الأدب الجاهلي هو أدب الفترة التي سبقت ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف القرن وقد نشأ هذا الأدب في الجزيرة العربية، يستوحي صوره وأفكاره من بيئتها الطبيعية والاجتماعية، ويرسم لنا بشعره ونثره صورة واضحة لهذه البيئة، معبراً عنها أصدق تعبير فكان من الضروري أن نعرف شيئاً عن الجزيرة العربية وحياة أهلها ليتسنى لنا الأمر أن نفهم شعر هؤلاء الصعاليك، ونتعرف على خصائص شعرهم، وخصائص الشعر الجاهلي بوجه عام.

1- جزيرة العرب :

في الجنوب الغربي من آسيا تقع بلاد العرب، وهي ليست جزيرة بالمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة، لأن الماء لا يحيط بها من جهتها الشمالية، ولكن القدماء تسامحوا فسموها جزيرة العرب. وهي تُحَدُ بالعراق وبادية الشام شمالاً والخليج العربي وعمان شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً[1]، وقد قسمها جغرافيو العرب إلى خمسة أقسام:

أ- الحجاز: ويطلق على سلسلة الجبال التي تمتد من شمالي اليمن إلى أطراف بادية الشام جوّها شديد الحرارة، قليل المطر، وذات أرض قفرة إلاّ في بعض المناطق حيث يعتدل الجوّ، وتجود الأرض كما في الطائف. وأشهر مدنه: مكة، يثرب، والطائف.

[1] ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص63.

ب- تهامة: وهي الأرض المنخفضة غربي الحجاز، شديدة الحرارة، قليلة المطر والنبات وهي قسمين: تهامة اليمن وتهامة الحجاز.

جـــ- نجد: وهي القسم المرتفع شرقي الحجاز، تتخلله الوديان والواحات الصالحة للزراعة، وهي أحسن بقاع الجزيرة العربية جوّاً وأصحها هواءً وأجملها بيئة.

د- اليمامة أو العروض: وهي الأرض التي تعترض بين نجد واليمن.

ه- اليمن: أرضه منخفضة على شاطئ البحر، مرتفعة في الداخل، يتمتع بجوّ معتدل وأمطار غزيرة و تربة خصبة، هيأت لأهله الاستقرار[1].

2- سكان الجزيرة العربية:

يقسم العرب من حيث حالتهم المعيشية إلى أهل حضر وأهل بدو، ويقسمون من حيث أصلهم إل أعراق ثلاثة: العرق الذي باد وعفا أثره قبل الإسلام، والعرق القحطاني الذي استقر في بلاد اليمن، والعرق العدناني المنحدر من ولد إسماعيل (عليه السلام)[2]. وما يهمنا بالدراسة هم العرب الباقية.

أ- عرب الشمال:

ويسمون العدنانيون، نسبة إلى عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ويسمون بعرب الشمال لأن منازلهم كانت شمالي بلاد اليمن، في تهامة ونجد والحجاز وينقسمون إلى قبيلتين كبيرتين هما: ربيعة وبطونها: بكر وتغلب، وقبيلة مضر وأشهر بطونها: قريش، كنانة، أسد، قيس، وتميم.[3] وهم أهل البدو، وعاشوا عيشة غير مستقرة يسيطر عليها الجوع والحرمان، وانعدام الأمن والأمان، ينتظرون مواسم المطر ومنابت الكلإ، فيخرجون إليها بإبلهم وغنمهم يرعونها، ويعتمدون عليها في حياتهم، وهي وسيلتهم

---

[1] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص24.

[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ص72.

[3] ينظر: محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ط3، مطبعة، مقهى البابي الحلبي، مصر، 1936م، ص25.

في الحل والترحال وفي الحرب والسلام.[1] لذلك ليس بمستغرب أن يصف الشاعر العربي الجاهلي ناقته وفرسه وصفاً تفصيلياً لاعتزازه بهما، ولارتباطهما بحياته ارتباطاً حميميـاً كما فعل طرفة بن العبد وامرؤ القيس.

ب- عرب الجنوب:

هم بنو قحطان، واتخذوا من اليمن منازل لهم، ينسبون إلى يعراب بن قحطان، من نسله حِمْيَر[2]، أشهر بطون حمير: حمير وكهلان، ومن حمير: قضاعة، أما كهلان فمن بطونه: الأزد، طيء، كندة، وغسان.[3] وهم أهل الحضر، عاشوا عيشة مستقرة يشتغلون بالتجارة والصناعة والزراعة[4].

سكن العرب الجزيرة العربية منذ العصور القديمة، وكان منهم من تحضر وأقام في المدن كأهل اليمن، ومنهم من عاش عيشة تنقل وترحال، يتتبعون منابت الكلإ في الصحراء الشاسعة، وهؤلاء هم أهل البدو، وهم أكثر سكان الجزيرة العربية.

وكان العربي يعيش في خطر دائم في أحضان طبيعة قاسية لا ترحم، تتهدده بكل مظاهرها، فقد كانت السماء كثيراً ما تبخل بمطرها على البادية العربية فيهدد أهلها القحط ولكن تلك الطبيعة القاسية كانت خيراً على أهلها بمنعها العدو المتربص من التوغل فيها. وهذه الحياة القلقة جعلت القبائل العربية تعتز بعصبيتها، ودفعت بعضها إلى التحالف مع غيرها التماساً للقوة، وحفاظاً على أمنها واستقرارها.[5]

والقبيلة هي الوحدة التي بنيت عليها حياتهم، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد وتسمى غالباً باسم الأب الأكبر كربيعة ومضر...، ويسود أفراد القبيلة العصبية والتناصر والتعاون، وكل فرد يتعصب لقبيلته، فهي التي تحميه من العدوان وتطالب بدمه إن جنى عليه أحد، ولكل قبيلة رئيس هو سيّدها ومرجعها وملاذها في الشدائد، ولها شاعر يتغنى

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، ط21، دار المعارف، القاهرة، 1119م، ص30.

[2] ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ص73.

[3] محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه، ص ص 24،25.

[4] ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، ص26.

[5] ينظر: عفيف عبد الرحمان، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص 07.

بمفاخرها وشرفها ومجدها، ويذود عنها أعداءها وخصومها[1]. إذن فالنظام السائد في عالم الجاهلية هو النظام القبلي.

أما من الناحية الدينية، فقد شقت اليهودية والمسيحية طريقها إلى جزيرة العرب فانتشرت اليهودية في اليمن ويثرب، كما انتشرت المسيحية في ربيعة، ولكن أكثر أهل الجزيرة كانـــوا وثنيين يتخذون آلهة شتى: عبدت الشمس في بعض جهات اليمن، وعبد القمر فـــي كنانة، وقال بعضهم بإلهين: إله النور وهو أصل كل خير، وإلـــه الظلام وهو أصل كل شر، ومنهم من عاش لا يعرف دينا، كما شاعت بينهم عبادة الأصنام والأوثان[2].

وكانت هذه الفوضى الدينية من أقوى العوامل التي مهدت السبيل لنجاح الدعوة الإسلامية فيما بعد.

ومن الناحية العقلية، فلم يكن في البادية علم منظم بمعنى الكلمة، ولا معارف مدونة، ولكن كانت لهم معارف عامة، وتجارب تدل على ذكاء فطري وملاحظة دقيقة. عرفوا شيئا من التجارب الطبية وبيطرة الخيل، وبرعوا في الفراسَة؛ أي معرفة أخلاق المرء من خلقه وهيئته، وفي القيافة؛ وهي الاهتداء بآثار الأقدام إلى أصحابها، وفي العيافة؛ وهي زجر الطير، أي يرمى بحصاة أو أن يصيح الرجل به، فإن ولاه ميامنه في طيرانه تفاءل أي تيمّن، وإن ولاه ميامره تشاءم، إضافة إلى الكهانة التي ادعوا بها معرفة الأسرار ومطالعة الغيب. كما كانوا أكثر الأُمم عناية بأنسابهم، واعتزازا بمآثرهم. ودل ما أثر عنهم من شعر، وحكم، وأمثال على مستوى عقلي راقٍ وقدرة فنية رائعة.[3]

هذه صورة موجزة للحياة الجاهلية التي عاش فيها عروة بن الورد، والأدب الجاهلي سواء أدب الصعاليك أو غيرهم من الشعراء، وليد هذه الحياة ومرآتها، وسوف يجد القارئ فيما مر به من ملامح الحياة الجاهلية ما يعينه أن يتفهم شعر هؤلاء ــ

[1] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الفكر، ج2، ص ص 7، 8.
[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص ص 55، 58، 59.
[3] ينظر: محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص ص 45 - 47.

الصعاليك ــ ويتذوقه، وتكشف عن الخصائص الفكرية والفنية له، وتربطه بالبيئة التي صدر عنها، والحياة التي أوحت به.

ثانيًا: البيئة الجغرافية:

حين نقف عند الجانب البيئي الجغرافي من ظاهرة الصعلكة، فإنما نقف عند أول عامل من العوامل التي أثرت في نشأتها وتوجيهها وطبعها بطابع خاص.

ففي كل مشكلة من مشاكل التاريخ يعمل عاملان أساسيان هما: الإنسان والبيئة الجغرافية. والظاهرة التي نحن بصدد دراستها وتفسيرها اتخذت من البادية العربية مسرحًا لها، وكان ارتباطها بهذا المسرح الجغرافي وثيقًا، تأثرت به، وتكيّفت معه في اتجاهها، ولعل في دراسة هذه البيئة الجغرافية ما يساعدنا على فهم الدور الذي قام به أبطال قصة الصعاليك.

"للبيئة الجغرافية أثرها في نفوس سكان الجزيرة العربية، فقد أوجدت في شخصياتهم لونًا من التّضاد النفسي اصطبغت عناصره بما في البيئة الجغرافية من لوني المبالغة وعدم الاستقرار"[1].

فهي بيئة صحراوية ذات مناخ مضطرب، وموارد طبيعية محدودة، تعتمد على المطر الذي تجود به السماء في فترات متباعدة، والتي يسيطر عليها الجفاف والقحط والجدب، فلا يجد أهلها إذا ما قسّت عليهم الطبيعة إلا الهجرة والترحال.

ويلاحظ الدارسون أن "البدويّ والعوز صاحبان ألف كل منهما صاحبه"[2].

فنكد العيش وسوء المواطن التي اختص بها أهل البادية أمور "حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الإبل ونتاجها

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ص 92.
[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، ص 74.

ورعايتها، والإبل تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها من شجره... والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم إلفًا وعادة ربيت فيها أجيالهم، حتى تمكنت خلقًا وجبلةً"*[1].

وأن الظروف الاجتماعية التي تسود البيئة الصحراوية تغلق أبواب الرزق في وجوه أبنائها، وتجعل من العمل في سبيله مهمة شاقة غير مثمرة، فهي حياة تعرف الكدح الكثير، لكنها تضيّع ثمرته. فهذه السهول القاحلة تَحُولُ دون نمو الثروة الإنتاجية، فيما عدا قطعان الغنم والماشية، بل إنها تَحُد من نمو هذه القطعان نفسها. فإن وباءً ينتشر بين القطعان، أو جدبًا في المرعى، أو جفافًا في الآبار يضع البدوي وجهًا لوجه أمام المجاعة ويدفعه دفعًا إلى السرقة والنهب.[2]

وهكذا انحصرت حياة البدو دون تدخل منهم في الرعي، ما دامت الموارد الطبيعية التي لديهم قد حصرت ثروتهم في هذه القطعان. غير أن هذه الثروة النسبية غير مضمونة البقاء.

وقد انتشر صعاليك العرب في البادية يقطعون طرقها، وينهبون ويسلبون ويثيرون في أرجائها الرعب والفزع، ويغيرون على المناطق الخصبة، ويهددون أهلها في ثرواتهم وحياتهم، ويعترضون القوافل التجارية. فاتخذوا من مناطق الخصب في الجزيرة العربية أهدافاً لهم يتجهون إليها، ومناطق نشاط يعملون فيها، فهم يخرجون من مناطق الجدب ويتجهون إلى مناطق الخصب[3].

ويذكر تأبط شرّاً أن أهدافه هي تلك المزارع الخصبة حيث الماء والزرع والماشية فيقول: [4]

فَيَوْمًا عَلى أَهْلِ المَواشِي، وَتارَةً ** لِأَهْلِ رَكيبٍ ذي ثَميلٍ وسُنــبُلِ*.**

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دراسة وتحقيق وتعليق: علي عبد الواحد وافي، ط4، ص 482.

* **سَغَبَ سَغَبًا** من باب تعب، وسغوبًا جاع فهو ساغب وسغبان، والمسغبة المجاعة؛ وقيل لا يكون السغب إلا الجوع مع التعب، **قال تعالى:**"**أو إطعام في يوم ذي مسغبة(14)يتيمًا ذا مقربة(15)أو مسكينًا ذا متربة(16)**". **سورة البلد الآيات 14 ـــــ 16.**

[2] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 74.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 77.

[4] تأبط شراً، الديوان، اعتنى به: عبد الرحمان المصطاوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص67.

* ابن منظور، لسان العرب، مادة (ركب)، ومادة (ثمل)، الركيب: المزرعة، الثميل: الحَبُّ.

كما أغار على اليمن في منطقة"خثعم"، وفي أخبار السُّليك بن السلِكة أنه خرج في بعض غزواته يتتبع الأرياف.[1]

أما عروة وفتيانه فتركز نشاطهم الأساسي في منطقة يثرب وما يجاورها، ويعلن مرة صعاليكه بأنهم لن يحققوا آماله ولن يبلغوا أقصى همته ما لم يصلوا إلى يثرب منبت النخل، يقول: [2]

فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلَغُوا كُلّ هِمَتِـــــي ** ولاَ أَرْبَى حَتَّى تَروا مَنْبَتَ النَّـــخْلِ**

وفي بيت آخر يتوعد الأوس ويعلنهم أنه سيترصد لهم بأحد الأودية حول يثرب فيقول: [3]

فَإِلَّا أَنَلْ أَوْسًا فَإِنِّي حَسَبْـــهَا ** بِمُنْبَطِحِ الأَدْغَالِ مِنْ ذي السَّلاَسِلِ.**

كما يصرح في شعره أنه يُغير على نجد في قوله: [4]

فَيَوْمًا عَلى نَجْدٍ وَغاراتِ أَهْلِهَا ** ويَوْمًا بِأَرْضٍ ذاتِ شَتٍ وَعَـــرْعَـــرٍ**

كانت اليمن ونجد ويثرب والوديان المحيطة بها كلها مناطق خصب في الجزيرة العربية، وكلها تعرضت لغزوات الصعاليك دون استثناء.

مما سبق نصل إلى أن الجزيرة العربية لم تكن في مجموعها تتألف من مناطق خصبة، وإنما كانت فيها أراضي صحراوية وجبلية قاسية، كما كانت بجانبها مناطق أخرى سهلية صالحة غنية بأسباب الحياة، وتنتاب هذه المناطق الصحراوية فترات طويلة من الجدب والجفاف، فكان ذلك يضاعف من بؤس الفقراء وحاجتهم، فنشأ عن ذلك من

[1] أبو تمام الطائي، (حبيب بن أوس)، شرح ديوان الحماسة، شرح: أبو زكريا يحي بن علي التبريزي، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص 192.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص ص 8، 9.
[3] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تقديم: محمد حسين الأعرجي، موفم للنشر، 1992م، ج2، ص 801.
[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ص 155.

اتخذ الصعلكة وسيلة في حياته، وانطلق هؤلاء – الصعاليك – يقطعون طرقها، وينهبون ويسلبون، ويغيرون على المناطق الخصبة ويهددون أهلها ويعترضون القوافل التجارية.

ثالثًا: حياة عروة بن الورد:

يعتبر عروة بن الورد من أهم الشعراء العرب، وأحب الشخصيات وأكثرها جاذبية وذلك لما اشتمل عليه من قيم إنسانية رقيقة، وأخلاق الفارس النبيل الكريمة، مع جود بعيد عن التكلف والافتعال، وروح تعطي المحتاج الفقير تتجلى في كل ما كان يقدمه للناس من إحسان ويبذله من عطف وكرم تُجاه الصعاليك والضعفاء والمساكين والمرضى، وهذا ما جعل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان يقول: "لو كان لعروة ولد لأحببت أن أتزوج إليهم"[1].

وهو الذي قال فيه عبد الملك بن مروان: "ما يَسُرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إني اُمرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكـــةٌ ** وأَنْتَ اُمْرُؤٌ عــافِي إِنَائِكَ واحِــدُ**

أَتَهْزَأُ مِنّي أَنْ سَمِنْتَ وأَنْ تَـــــــرى ** بِجِسْمِي مَسَّ الحَقّ والحَقُّ جــاهِدُ**

أُفَرِّقُ جِسْمِي فِي جُسُومَ كَثِيـــــرَةٍ ** وَأَحْسُو قُراحَ الماءِ والماءُ واحِــدُ"[2].**

ينتهي نسب عروة إلى قبيلة عبس، فهو "عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هُرَيْم بن لُدَيْم بن عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس"[3] وهو من هذه الناحية في شرف من قبيلته، ولكن أباه كانت عبس تتشاءم به، لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنته لحُذيْفة*[4].

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج3، ص 71.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص 70.

*حذيفة بن بدر من قبيلة فزارة.

[4] محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 246 وما بعدها.

أما أمه فليس فيما بين أيدينا من أخباره ما يشير إليها، ولكن **عروة** نفسه قد كفانا مشقة البحث عنها، فهو يذكر في شعره أنها من "نهد من قضاعة"[1]، ولكن الشيء الذي يلفت النظر في حديث عروة عن أمه أنه دائم السخط على هذه الصلة التي ربطت بين أمه وأبيه، بل إنه يهجو أخواله هجاءً مرّاً، ولعل سبب ذلك أن قبيلة نهد كانت أقل شرفاً من قبيلة عبس[2].

يقول عروة في أخواله النهديين: [3]

مَا بِي مِنْ عَارٍ إِخالَ عَلِمْتُـــــهُ ** سِوى أَنَّ أَخْوَالِي، إذا نُسِبوا، نَهْدُ**

ومعنى هذا أن "عروة منذ النشأة الأولى قد وُضِعَ بين شقي الرحى"[4]، فأبوه تتشاءم منه قبيلته وأمه من قبيلة أقل شرفاً.

وفي أخبار لعروة، أنه كان له أخاً أكبر منه، وكان أبوه يؤثره عليه فيما يعطيه ويقربه، "فقيل له: "أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه؟ قال: أترون هذا الأصغر؟ لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالاً عليه"[5].

ومعناه أن عروة تفتحت عيناه في الحياة على صورة مختلة التوازن، من صورها: صورة الأخ الأكبر الذي يؤثره أبوه مع غناه عنه، وإلى جانبها صورة الأخ الأصغر الذي يهمله أبوه مع ضعفه وحاجته إليه. أليست هذه الصورة التي شهدها عروة بعد ذلك في المجتمع الذي يعيش فيه في مجال أوسع، الأغنياء الذين تؤثرهم الحياة بكل شيء مع غناهم، وإلى جانبهم الفقراء الذين تحرمهم الحياة من كل شيء مع شدة حاجتهم وضعفهم؟[6].

أما عن حياة عروة الخاصة فلم تتحدث الأخبار عن زوجة عبسية له، وإنما ذكرت زواجين له انتهيا بفراق.

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ج3، ص 74.
[2] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 322.
[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص 113.
[4] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 323.
[5] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ج3، ص 88.
[6] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 323.

يذكر الأصفهاني في كتابه الأغاني"من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه،أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكرا يقال لها سلمى وتكنى أم وهب، فأعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وولدت له أولادا، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه..."[1] وفي رواية أخرى للأصفهاني:"إن قومها أَغْلَوا بها الفداء، وكان معه طَلْقٌ وجُبارْ، أخوه وابن عمه، فقالا له:والله لئن قبلتَ ما أعطوك لا تفتقر أبدا، وأنت على النساء قادر متى شئت، وكان قد سكر، فأجاب إلى فدائها..."[2].

وكان زواجه الثاني من ليلى بنت شعواء الهلالية "كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها: ليلى بنت شعواء. فمكثت عنده زمانا وهي معجبة له تريه أنها تحبه، ثم استزارته أهلها فحملها أتاهم بها. فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه، وتوعده قومها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبّري صواحبَك عني كيف أنا؟. فقالت: ما أرى لك عقلاً أَتُراني قد اخترت عليك وتقول خبّري؟..."[3].

وكثيراً ما كانت زوجتاه يلومانه على مغامراته، وعلى بذل نفسه من أجل الصعاليك، ولعل ذلك هو السبب المباشر في عدم هناء **عروة** في حياته العائلية[4] ؛ تتذمر تتذمر الزوجة وتزجر، تغضب وتنفعل، تبكي وتنتحب، وقد تستخدم الدلال لتعدل في سياسة الزوج، ولومها كان متواصلاً لا تكل ولا تمل وهي تلوم، فمـــاذا تقول الزوجة اللائمة؟ تقـــول: [5]

لَكَ الوَيْلاَتُ، هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ** ضُبُوءاً، بِرَجْـــــــلٍ، تَارَةً، وَبِمُنْسِـرِ؟**

ويبدو أن عروة كان يقلقه تدخل زوجته في شؤون حياته وعمله، وإكثارها من لومه فيدعوها إلى أن تكف عن ذلك، يقول: [6]

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ج3، ص 72.
[2] الأصفهاني، المصدر السابق، ص 74.
[3] المصدر نفسه، ص 77.
[4] ينظر: عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ص 11.
[5] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص 64.
[6] المصدر نفسه، ص 143.

أَقِلِّي عَلَّيَ اللَّوْمَ يَا بِنْتَ مُنْـذِرٍ ** وَنَامِي وإِنِ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي**

وفي موضع آخر، يقول: [1]

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانٍ إِنَّنِي ** بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِكَ البَيْـــــعَ مُشْتَرِي**

كان عروة يكنّى "أبا الصعاليك"، وقيل بل كان يكنّى "أبا نجدة"، وقيل "أبو المغلس" وقال آخرون أن كنيته في الحرب "أبا عبلة"، وفي السلم "أبا هراسة"[2]، ولقب بـــ"عروة الصعاليك" لجمعه إيّاهم والقيام بأمرهم، فيرعى أحوالهم إذا أخفقوا في غزواتهم، ولم يكن لهم معاش، ويقال لقب بذلك لقوله: [3]

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا، إِذَ جَنَّ لَيْلُـــــهُ ** مُصَافِي المُشَاشِ، آلِفاً كُلَّ مَـــجْزَرِ**

يَعُدُ الغِنَى، مِنْ دَهْرِهِ، كُلَّ لَيلَـــةٍ ** أَصَابَ قِرَاها مِنْ صَدِيقٍ مُيَسـرِ**

ولله صُعْلُوكٌ، صَفِيحَـــةُ وَجْهُـــهُ ** كَضَوءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَـــــوِّرِ**

يقال إن **عروة** مات مقتولاً، قتله رجل من بني طهية سنة 596م.[4]

ويجدر بنا الحديث عن جودة عروة أمير الصعاليك وأخلاقياته الراقية التي هي في مضمونها قيّم النبل الحقيقي، والتي لم تقتصر فاعليتها على الصعاليك فقط الذي كان منهم وإليهم، بل عمّت وشملت كل محتاج، كل فقير، كل مسكين، وكل ضعيف من سكان البادية العربية، فكان بيته ملجأ لكل محتاج، وفراشه فراشه على حد قوله: [5]

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ، والبَيت بَيْتُهُ ** ولَمْ يُلهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ**

سلك **عروة** سبيله في الحياة؛ يسلب الأغنياء أموالهم ليوزعها على الفقراء، وفقاً لفلسفة معينة، عبر عنها في شعره أصدق تعبير، حتى أصبح شعره نبراسًا يهتدي به

---

[1] المصدر السابق، ص 143.

[2] المصدرنفسه، ص 39.

[3] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 10.

[4] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم، ص 173.

[5] عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 10.

قومه، وأساس فلسفته أن "**الغزو والإغارة للسّلب والنهب**" السبيل الوحيد للغنى[1] لمن هو في مثل حالته، يقول: [2]

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِـــــرَا ** مِنَ المَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ.**

ونتيجة هذه الفلسفة نجاح الغزوة أو الموت في سبيلها، فإن كانت الأولى فقد حقق أهدافه وجاء الغنى معه، وإن كانت الثانية فالموت خير من حياة الفقر والجوع والهوان.

هذه صورة موجزة عن حياة عروة التي عاشها ومنذ النشأة الأولى بين أب تتشاءم قبيلته منه، وأمّ من قبيلة أقل شرفاً، وأخ يؤثره أبوه عنه، وصورة مجمع مختلة التوازن؛ تؤثر الغني مع غناه، وتحرم الفقير مع شدّة حاجته وضعفه، كل ذلك أثر في هذا الشاعر فكان فارسًا من فرسان الجاهلية المعدودين، وشاعرًا من شعرائها المقدمين، وصعلوكًا من صعاليكها الأجواد، حيث مثل الجانب الإنساني أفضل تمثيل في طريقته في الحياة ومعاملته الحسنة للصعاليك، وفلسفته التي يؤمن بها كل الإيمان، ثم يأخذ في تنفيذها والدعوة إليها بكل حماسة وقوة.

[1] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 326.
[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص 105.

الفصل الأول

أولا: الصعلكـــــــــــة:

1-مفهومهـــــــا اللغـــــــــوي:

الصعلكة – كما في معاجم اللغة–هي الفقر، والصعاليك هم الفقراء. ففي لسان العرب، "صعلك، صعلوك: الفقير الّذي لا مال له، وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك، يقول **حاتم الطّائي:**

غُنِينَا زَمَانًا بالتَّصَعْلُكِ والغِنَى ****فَكُلاًسُقَانَاهُ بِكَأْسَيْـــهِمَا الـــــدَّهْرُ

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا على ذي قَرَابَـــةٍ ** غِنَانًا ولا أَزْرَى بِأحْسابِنَا الفَقـــــرُ.**

وتصعلكت الإبل: أي خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها، ورجل مصعلك الرأس: مدوّره، ورجل مصعلك الرأس: صغيره؛ وأنشد:

بِخَيْلٍ في المرْعَى لَهُنَّ بِشَخْصِهِ ** مُصَعْلَكُ أعلى قِلَّةِالرَّأْسِتَنَقْنَقُ.**

والتصعلك: الفقر، وصعاليك العرب: ذؤبانها، لأنّهم كالذّئاب، وذؤبان العرب: لصوصهم الّذين يتلصّصون ويتصعلكون".[1]

وفي الصحاح،"الصعلوك الفقير... وكان عروة بن الورد يسمّى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنمه، والتصعلك الفقر".[2]

وفي المنجد في اللغة العربية المعاصرة: صعلك، صعلكة: تسكع وتشرد، نقول: "حياة صعلكة". وصعلوك جمع صعاليك: أي فقير، "كان الشاعر الجاهلي الشنفرى صعلوكًا"، متشرد متسكع لا مأوى له، يعيش على الهامش، "ما أكثر الصعاليك في تلك العاصمة"، و"صعاليك العرب" لصوصهم وفقراؤهم. تصعلك: اِفْتَقَرَ: "تصعلك فلان".[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صبح، دار ديسوفت، مادة (صعلك).
[2] الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط4، دار الملايين، بيروت، لبنان، 1990، مادة (صعلك).
[3] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، 2001، مادة (صعلك).

من النّص اللّغوي الّذي سجله ابن منظور، والّذي سجل مثله غيره من علماء اللّغة في معاجمهم، نستطيع أن نتبين أصلاً عامّا للمادة تشترك فيه معانيها المختلفة، وتدور حوله، وهو "**الضّمور والانجراد**".[1]

فالصعلكة إذن في مفهومها اللّغوي الفقر الّذي يجرد الإنسان من ماله، ويظهره ضامرًا هزيلاً بين أولئك الأغنياء المترفين الّذين أتخمهم المال.

ولكن يبدو أنّ هذا المعنى لا يعبر عن المفهوم اللّغوي للكلمة تعبيرًا دقيقًا، ولهذا نقف وقفة أخرى عند تلك الزيادة التي أضافها الأزهري وهي قوله: "**الاعتماد**"، والمعنى اللغوي لهذه العبارة واضح، فاعتمد على الشيء إذا توكأ أو اتكأ عليه، واعتمد عليه في كذا: اتكل عليه.[2] وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ أو يتكل عليه ليشق طريقه في الحياة.[3]

هذا هو التعريف اللغوي لهذه الكلمة، كما نراه في ضوء هذه المحاولة اللغوية لفهم المادة، لنتتبع بعدها هذه المادة في الاستعمال الأدبي القديم لنرى كيف دارت فيه؟، وإلى أي مدى يطابق الاستعمال الأدبي المعنى اللغوي، كما سجله علماء اللغة أو يختلف عنه؟.

2- الصعلكة في الاستعمال الأدبي:

تتردد هذه المادة في أشعار الجاهليين بصورة عامة، فنراها أحيانا تدور في الدائرة اللّغوية، على نحو ما نراه في بيت حاتم الطّائي، الّذي يتخذ منه اللّغويون موضوعاًللاستشهاد على المعنى اللّغوي للكلمة، فالتصعلك هنا يرد بمعنى الفقر، كما هو في هذا البيت:[4]

---

[1] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص22.
[2] ابن المنظور، لسان العرب، مادة (عمد).
[3] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص23.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة (صعلك).

غُنِينًا زَمانًا بالتَّصَعْلُكِ والغِنَـــــى ****فَكُلاًسُقاناهُ بِكَأْسَيْــهِما الـــدَّهْرُ

وهو استعمال يؤيده ذكر الفقر في البيت التالي مرادفًا للتصعلك:[1]

فَمَا زادَنَا بَأْواً على ذي قَرابَـــــةٍ ** غِنانًا ولا أَزْرَى بأَحْسابِنـَا الـــفَقْرُ**

ونراها أحيانا أخرى ترد في بعض المواضع،ولكن مفهومها الّذي يتفق مع السياق لا يتفق تمامًا مع مفهومها اللّغوي، فهذا عمرو بن براقة الهمذاني يُغيرُ على إبله وخيله رجل من مراد، فيذهب بها، فيأتي عمرو فيغير على المرادي، فيستاق كل شيء لـــه ويقول:[2]

تَقولُ سُلَيْمَى: لا تَعــرَّض لِتَلْفَةٍ** ولَيْلُكَ عـــــــــن لَيْلِ الصّــعالِيكِ نائِمُ**

وكَيْفَ يَنامُ اللَيْلُ مَنْ جُلُّ مالِـــــهِ** حُـــــسامٌ كَلَوْنِ المِلْـــــحِ أَبْيَضُ صارِمُ**

أَلَمْتَعْلَمِي أَنَّ الصعاليكَ نَوْمــُهُمْ** قَليلُ إِذا نـــــــــــامَ الخَلِيُّ المُسالِـــــمُ**

فمن الواضح هنا أنّ جو القصة وسياق الأبيات لا يدلان على أن الصعاليك هم الفقراء، وإنما هم أولئك المشاغبون أبناء الليل الّذين يسهرون في السلب والنهب، بينما ينعم الخليّون بالنوم والراحة والهدوء، فالكلمة هنا خرجت من دائرة الفقر إلى دائرة أوسع منها وهي دائرة السلب والنهب والإغارة.[3]

وفي أخبار لامرئ القيس أنه غزا بني أسد ثأرًا لأبيه، "**وقد جمع جموعًا من حِمْيَرَّ وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها**".[4]

وهنا أطلق على الصعاليك صفة الذّؤبان، لتشردهم في القفار والفيافي ولذلك فالرابط هنا بين الصعاليك والذّؤبان هو أن هؤلاء الفقراء كان بينهم وبين الذّئاب تشابه في

---

[1] حاتم الطائي، الديوان، دار صادر، بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص 51.

[2] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج 21، صص 198، 199.

[3] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص24.

[4] المرجع نفسه، ص25.

أسلوب الحياة وأسلوب العيش، فهؤلاء الفقراء الّذين استعان بهم امرؤ القيس في إدراك ثأره، كانت حياتهم الاجتماعية قد تطورت تطورا خاصًا جعلهم يصلحون لتلك المهمة.

ومما ورد في أخبار العرب أيضًا أنّ سيّدًا منبني شيبان قال للنعمان بن منذر في حديث طويل معه: "فامِض إلى صاحبك، فإمّا أن صفح عنك فعدت ملكًا عزيزًا، وإمّا أن أصابك فالموت خير لك من أن يَتَلَعَبَ بك صعاليك العرب، ويتخطفك ذئابها، وتأكل مالك".[1]

واضح هنا أنّ الصعاليك ليسوا هم الفقراء، ولكنهم طوائف من قطاع الطرق كانوا منتشرين في أرجاء من الجزيرة العربية.

وفي **قول لأوس بن حجر:**[2]

يا عِينِي جُودِي على عَمْرُو بْنُ مَسْعودٍ ****أَهْلَ العِفافِ و أَهْلَ الحَزْمِ و الجودِ

أَوْدَى رَبيعُ الصَّعاليكِ الأُولى اِنْتَجَعــوا ** و كُلُّ ما فَوْقَها مِنْ صالِحٍ وَمـــــودِ**

فالصعاليك هنا هم الفقراء الذّين كانوا يقصدون عمرو بن مسعود.

لكن هناك معنى سلوكي عرفي تنبه له أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب حين قال: "**والصعلوك الفقير، وهو أيضًا المتجرد للغارات**".[3]

فالمتصف بالصعلكة ليس الفقير فحسب، بل نجده صاحب شيء يشبه المهنة أو الحرفة وهي الصعلكة نفسها، وحينئذٍ لا تكون الصعلكة دالة على الفقر، وإنما على اللصوصية وقطع الطريق وسائر أساليب السلوك العدواني الّذي يهدف إلى المغنم.

---

[1] ينظر: يوسف خليف، المرجع السابق، ص24.

[2] أوس بن حجر، الديوان، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م، ص 25.

[3] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ص 453.

وفي هذا دلالة على أن لفظ الصعلكة يدل أصلاً في اللّغة على الفقر والحاجة، وهذه الحاجة دفعت أصحابهاإلى العدوان على الناس لسلبهم ما يملكون، وأصبح الّذين يزاولون هذا السلوك يعرفون في عرف المجتمع العربي القديم بالصعاليك.

3- الصعلكة وبعض الألفاظ:

الواقع أن هناك ألفاظ أخرى تشارك الصعلكة في مدلولها، ذلك أن الصعلكة لا تعنينا بمدلولها اللّغوي وهو الفقر، وإنما يعنينا مدلولها العرفي، وهو اللصوصية وقطع الطريق، وباقي أساليب العدوانية، وهذا المدلول تؤديه أو تؤدي بعضه ألفاظ أخرى تعارفت كتب التاريخ والأدب العربي أن تصف به هذه الطائفة، كما في معاجم اللّغة مثلا في إحالتها معنى التصعلك على التّذؤب واللّصوصية.[1]

وهذه الألفاظ كثيرة وأشهرها، لصّ، ذئب، فاتك، شاطر، خليع وشيطان، وبعض هذه الألفاظ ألصق بالصعلكة من بعض.

ومن الواضح أن أقرب هذه الألفاظ إلى المدلول العرفي للصعلكة هو اللّص، وذلك بحكم وضعه اللّغوي، وبحكم استعماله.

وقد لقيت كلمة "ذؤبان" اهتمامًا في توضيح مدلوله العرفي أكثر من الاهتمام بغيرها، فذؤبان العرب هم لصوصهم وصعاليكهم، وذؤبان العرب أيضًا صعاليكها الّذين يتلصصون، وذؤبان العرب أي صعاليكهم وشطارهم. وهكذا أُتفق على وصف الصعاليك بأنهم ذؤبان العرب.

وأما لفظ "فاتك"، فقد تذبذب بين استعمالين، استعمال في معنى السطو وقطع الطريق أي في معنى الصعلكة، وأما الاستعمال الثاني وهو الجرأة والشجاعة، فالفاتك

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 20.

بمعنى الجريء الشجاع، وفتك به انتهز منه فرصة فقتله أو جرحه، والفاتك: الجريء الصدر، وغيرها من المعاني الموجودة في معاجم اللّغة.[1]

أما الخليع فهو من تخلعه قبيلته أو أهله، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته، والخولع هو الغلام كثير الجنايات، والخليع الرجل يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرّؤون منه ومن جناياته.[2]

ولفظي شاطر وشيطان تدوران في فلك الألفاظ السابقة.

4-المفهوم الاصطلاحي:

إذا عدنا إلى استخراج المفاهيم من المعارف السابقة، وكذا الاستنتاجات التأويلية فإننا نجد أن الصعلكة هي مصطلح يتعلق بأحوال العاملين بها، وتعدد الشعراء الصعاليك أدى إلى تعدد أسباب التصعلك، وهذا الأخير أدى بدوره إلى تعدد مفاهيم الصعلكة، فنجدها أحياناً بمفهوم الفقر والحاجة، ونراها أحياناً أخرى مهرباً ومسلكاً بغية كسب القوت والثّأر وفي مواضع أخرى تحمل معاني معبرة عن الإنسانية ورفض الذّل والمهانة، وإعانة الفقراء دفاعًا عنهم وتوعية لمن هم في ديارهم مضطهدين.

فالصعلكة تعني في معناها العام الفقر وماله من علاقة بالعوز والحرمان في ظل حياة قاسية يتعذر فيها سبيل الرزق، "فضلاً عن الدلالة الاجتماعية التي لها علاقة بالوضع الاجتماعي الّذي يحياه الفرد في ظل مجتمعه، ومن ثمة قد تفرض على هذا الفرد، أن يسلك أسلوبًا معيناً في حياته الخاصة كرد فعل لما لحقه من ضيم، أو رغبة منه في تغيير وضع ما، أو بلوغ غايته المادية والمعنوية.[3]

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني ، المرجع السابق، ص ص 20،21.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلع).

[3] بوجمعة بو بعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 69.

إذن فمادة "صعلك" تدور في دائرتين: الدائرة التي تدل على معنى الفقر وما يتصل به من حرمان في الحياة وضيق في العيش، والدائرة الأخرى نستطيع أن نطلق عليها الدائرة الاجتماعية، وفيها نرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الّذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع.

ثانيًا: أنواع الصعاليك:

صعاليك الجاهلية على ضربين: خامل وعامل، وكذا يقسم عروة الصعلكة إلى قسمين: صعلكة الخمول، وصعلكة علّو الهمة.

1- الصعلوك الخامل (صعلكة الخمول):

الصعلوك الخامل الفقير الّذي ارتضى لنفسه التسول والتطفل والهوان على الناس يزدريه الكبير والصغير، لا يحس نقصًا ولا يترفع عن القيام بكل ما يؤمر به، حتى خدمة النساء، في سبيل الحصول على لقمة العيش، وأيّ لقمة؟ لقمة من فتات من بقايا اللّحـــم من عظام ترمى قرب المجازر، يلتقط العظم الهش قانعًا بأكله، وهو لسقوط همته يرضى من الزاد بفتات الموائد، يسخر طول نهاره في الكنس والحلب[1]، "فإذا أمسى ألقى بنفسه على الأرض كالبعير الّذي أنهكه قطع القفار في الأسفار"[2]، وهي صورة مزرية لهذا النوع من الصعاليك.

2- الصعلوك العامل (صعلكة علّو الهمة):

وفي مقابل الصعلكة السلبية، هناك صعلكة إيجابية، كالتي يعتنقها عروة بن الورد وإليها يدعو وعنها يدافع، إنها تتلقى وعمليات الغزو التي أشعلت الصحراء، وتحدث عنها الناس بفخر واعتزاز.والصعلوك العامل هو الخارج على الأعراف، الّذي مرد وفتك وغصب من حرموه، وهي صورة مشرقة للثائر الأبِيِّ: "إنه مضيء الوجه، مَخوفُ

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص 54.

[2] غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، فنونه، أعلامه، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، سورية، دمشق، ص 277.

الجانب، يقلق أعداءه فلا ينامون، خوفاً منه، يسهرون ليلهم في زجره، وهو لا يخشى الرّدى، لأن له خياراً من اثنين: الموت الشريف الكريم أو الغنى".[1]

لقد أنف الناس الصعلوك الخامل المتكاسل الّذي يقنع بحدّ الكفاف، ويجلس حول المجازر ليتلقى عطايا الناس، راضياً لنفسه عيشة الخمول والمسكنة متسقطاً حسنات الناس وأفضالهم، مهيناً نفسه بالذّل والحاجة، ومدحوا الصعلوك العامل المغامر فإن قُتِلَ كان مشكوراً مذكوراً بالجرأة، وإن غنم كان بالغنيمة جديراً، واضعاً نفسه فوق الناس فارضاً رهبته عليهم[2]، ونجد عروة بن الورد لائماً النوع الأول أشدّ اللّوم، راضياً عن الثاني أشدّ الرّضا[3] يقول عن النوع الأول:[4]

لَحَى اللهُ صُعْلوكـــاً إذا جَنَ لَيْلُهُ ** مَضَى فـــــي المُشاشِ آنِفاً كُلَّ مَجْـزَرِ**

يَعُدُ الغنـــــى من دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ** أَصـــابَ قِراها مِـــــنْ صَديقٍ مَيَّسَـــــرِ**

قَليلُ اِلْتِماسُ المـــــالِ إلاَّ لِنَفْسِهِ ** إذا هُوَ أَمْسى كالعَريـــشِالمُجَـــــوِّرِ**

يُعيـــنُ نِساءَ الحيِّ ما يَسْتَعِنّـــهُ ** ويُمْسِي طَلِيحاً كالبَعيـــرِ المُحَسَّـــرِ.**

ويقول عن النوع الثاني مقارناً بينهما:[5]

ولله صُعْلوكٌ صَفيحَةُ وَجْهُـــــهُ ** كَـضَوْءِ شِـــــهابِ القابِسِ المُتَنَـــــوِّرِ**

مُطِلاً على أَعْدائهِ يَزْجَرونَـــــــهُ ** بِساحَتِهِمْ كَزَجْرِ المَنِيـــــحِ المُشَهَّـــــرِ**

إذا بَعَدُوا لا يَأْمَنُونَ اِقْتِرابَـــــــهُ ** تَشَوُفُ أُهْـلِ الغـــــائبِ المُتَنَظِّـــــرِ**

فَذَلِكَإِنْ يَلْـــقَ المَنِيَّةَ يَلْقَـــــها ** حَمـــــيداً، وإِنْ يَسْتَغْنِ يَومـــــاً فَأَجْـــــدَرِ.**

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص 55.

[2] ينظر: عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح ودراسة وتقديم: أسماء أبو بكر محمد،ص 37.

[3] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص 30.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، صص 149 – 151.

[5] المصدر نفسه، ص ص152 ، 153.

في هذه الأبيات يقوم عروة بتصنيف ومقابلة، يصنف الصعاليك صنفين: المستكين الخامل والعامل المغامر، مفاضلاً بينهما: يصور الأول في إطار الذّل والبؤس، فيما يرسم للثاني صورة مشرقة جذّابة.

ومدح حاتم الطّائي الصعلوك المخاطر، وسخر بالصعلوك الضّعيف العزيمة الّذي لا يَعْنِيهِ إلا أن يأكل ويلبس:[1]

وَلَنْ يَكْسِبِ الصُّعْلوكُ حَمْداً وَلا غِنـــىً ** إذا هُوَ لَمْ يَركَبْ مِنَ الأمْرِ مُعْظِمـــاً**

لَحَـــى اللهُ صُعْلوكـــاً مُنـــاهُ وَهَمَـــهُ ** مِنَ العَيْشِ أَنْ يَلْقى لَبوساً وَمَطْعَمـــاً**

وَلِلهِصُعْلـــوكٌ يُسَـــاوِرُ هَمَـــهُ ** وَيُمْضِي على الأَحْداثِ والدَّهـــرُ مُقْدِماً".**

مما سبق يمكن أن ندرج هذين النّوعين ضمن الدّائرتين الآنفتي الذكر وهما:

الدّائرة اللّغوية، التي يقع ضمنها الصعلوك الخامل، حيث تنتهي هذه الدّائرة حيث بدأت، فالصعلوك فيها يبدأ فقيرا وينتهي فقيراً.

ويقع الصعلوك العامل ضمن الدّائرة الاجتماعية، التي تتسع وتبعد عن نقطة البدء لتنتهي أو تحاول أن تنتهي بعيدًا عنها، حيث يبدأ فيها الصعلوك فقيراً محاولاً التغلّب على الفقر ليتساوى مع سائر أفراد المجتمع.

ثالثاً: طوائف الصعاليك:

إنّ الناظر في أخبار الصعاليك، المتتبع لظروف نشأتهم وحياتهم، يستطيع أن يلاحظ في وضوح ثلاث طوائف مختلفة تتألف منها عصاباتهم:

1- طائفة الخلعاء الشّذاذ:

هم الّذين أنكرتهم قبائلهم ونبذتهم وتبرّأت منهم، وطردتهم من حماها، وقطعت ما بينها وبينهم من صلة، لما اقترفوا من جرائر، فأصبحت لا تُحْتَمَلُ لهم جريرة، ولا تُطَالَبُ

[1] حاتم الطائي، الديوان، ص 82.

بجريرة يُجرها عليهم أحد[1]، وتحللت بهذا من العقد الاجتماعي الّذي يربط بينها وبينهم والّذي يصوره المثل العربي القديم "في الجريرة تشترك العشيرة"، ومنهم: حاجز الأزدي قيس بن الحدادية، وأبي الطحمان القيني.[2]

2- طائفة الأغربة السّود:

ويندرج ضمن هذه الطائفة الّذين سرى إليهم السّواد من أمّهاتهم الحبشيات فلم يعترف بهم آباؤهم، ورفضوا إلحاقهم بأنسابهم، لأن دماءهم ليست عربية خالصة، ومن هؤلاء: تأبط شرّاً، الشنفرى، والسّليك بن السّلكة[3].

3- طائفة الفقراء المتمردين:

وهم الّذين تصعلكوا نتيجة للظروف الاقتصادية المختلفة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي، وقد احترف هؤلاء الصعلكة احترافاً، ويمثلهم عروة بن الوردومن كان يلتف حوله من فقراء العرب، وكذا تلك المجموعة الكبيرة من شعراء هذّيل[4].

من هذهالطوائف الثلاث تألفت عصابات الصعاليك، وهي عصابات قطعت ما بينها وبين قبائلها من صلات، وانطلقت إلى الصحراء كما تنطلق الذئاب الجائعة، لتشق لنفسها طريقاً في الحياة، وقد جمع بينها على اختلاف قبائلها الفقر والتشرد والتمرد، والكفر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يؤمن بها المجتمع الذي خرجت عن طاعته والإيمان بأن الحق للقوة، وأن الضعيف ضائع حقه في المجتمع.

---

[1] ينظر: عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرّقب، تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، 2010 م، ص22، وغازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه ص277.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص57.

[3] ينظر: يوسف خليف، المرجع السابق، ص 58.

[4] ينظر: عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرّقب، تاريخ الأدب العربي القديم، ص22.

رابعاً: نشأة الصعلكة وأسبابها:

من الصعب تحديد بدء الصعلكة من الناحية الزّمنية لأكثر من سبب، فمن ذلك أن التاريخ العربي نفسه قبل الإسلام غير محدد على وجه الدّقة، والمؤرخون حين يحددون بدء التاريخ في أمة من الأمم يلجأون غالباً إلى أمرين: أحدهما روايات المؤرخين وكتاباتهم عن هذه الأمة بصورة محددة، والآخر الآثار التي تركها أجيال هذه الأمة في توالٍ وتتابع.

ولكن الجزيرة العربية لظروف كثيرة أهمها عدم قيام دولة جامعة فيها قبل الإسلام لم يتيسر لها أحد الأمرين السابقين، ولهذا فمن الصَّعب تحديد نشأة وبدء الصعلكة.

أما عن الأسباب فيمكن حصرها فيما يلي:

1- غيابالدّولة والسلطة الجامعة:

إنّ هذه العبارة لا نعني بها الشكل الظاهري لمعنى الدولة الجامعة، وإنما نعني عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة، ويحس أفراد شعب هذه الأمة بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها.[1]

فالجاهليون لم يعرفوا الدولة الجامعة التي تبسط عليهم سلطانها، وتفرض قوانينها وتنظم شؤونهم وتسير حياتهم، بل كان النظام القبلي هو السّائد في الجزيرة العربية، وكلما كانت القبيلة قوية كلما كانت أقدر على بسط سيطرتها، وفرض رؤيتها على غيرها فأصبحت القبيلة بنظامها هي السلطة المسيطرة لأمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمن ينتمون لها.

لقد أبى الصعاليك الخضوع لهذه السلطة "لأنهملا يؤمنون بأي سلطان من أي نوع وتجد هذه النزعة شائعة في شعرهم".[2]

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص46.

يقول الشنفرى في اللامية مفضلاً الحياة مع الوحوش الضارية على حياةٍ وسط مجتمع ظالم جائر متعسف[1]:

أَقيمُـوا بَني أُمِـــــّي صُـــدورَ مَطِيَّكُـمْ ** فَإنّــي إلــى قَوْمٍ سِواكُمْ لأَميـــلُ**

فَقَـدْ حُمَـــتِ الحاجاتُ واللَيـلُ مُقْمِـــرٌ ** وشُدَّتْ لطَيَّـاتِ مَطايَا وأَرْحَـــلُ**

وفِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَـــنِ الأَذَى ** وفيهَا لِمَنْ خافَ القِلَى مُتَعَـزِلُ**

ولـــــي دونَكُمْ أَهْلُـون سَيِـدٌ عَـــمْلّـَسٌ** وأَرْقَطُ زُهْلُـولُ وعَرْفَاءُ جَيْـــأَلُ**

هـــُــمْ الأَهْـلُ مُسْتَوْدَعُ السِّـــــرِ ذائـــــعُ** لَدَيْهِمْ ولا الجَانِي بِمَاجِرَ يَخْـذَلُ.**

فالذّئاب والضباع والنمور مجتمع الشنفرى الجديد وأهله الّذي يفضلهم على أهله الحقيقيين لأنهم أحفظ للسّر، وأقدر على نصرته وحمايته، وفيها من الخصال ما لا يوجد عند أهله.

وهذا تأبطشرّاً يتمرد على القبيلة وأعرافها، محاولاً فرض رؤيته عليها وإلا فإن في الأرض الواسعة ملاذاً وملجأ له، حيث يقول[2]:

إنِّي زَعيمٌلَئنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَذَلِـــــي ** أَنْ يَسْأَلَ الحيُّ عَني أَهْلُ آفاق**

أن يسألَ القَوْمُ عني أَهْلَ مَعْرِفَةٍ ** فَلاَ يُخْبِرَهـُمْ عـــــن ثابِتٍ لاَقِـي**

لَتَقْرَعـنَّ عليَّ السِّنَ مـــن نـــدمٍ ** إذا تذكَّرت يَوْمـــاً بَعْضُ أَخْلاقِـي.**

وهكذا نجد نزعة التحرر من السلطة والنفور منها شائع في شعر الصعاليك ومعنى ذلك أن الصعلكة والسلطة ـــــــ الحقيقية المتمكنة ـــــــ لا يتفقان، فقد شاعت الصعلكة لعدم وجودٍ لهذه السلطة، ومفهوم ذلك أنه حيث توجد هذه السلطة لا توجد الصعلكة، ولو كظاهرة اجتماعية، وهذا لا ينفي وجودها كحالات فردية، فإن الشذوذ لا

---

[1] الشنفرى، الديوان، جمعوتحقيق وشرح: إيميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ص ص58، 59.

[2] تأبط شرّاً ، الديوان، اعتنى به: عبد الرحمان المصطاوي، ص 43.

يخلو منه مجتمع، وهذه الحقيقة هي التي نهدف للوصول إليها، فإن عدم وجود هذه السلطة في المجتمع الجاهلي كان من الأسباب الأساسية في وجود الصعلكة كظاهرة.[1]

والحقيقة أن الصعلكة بقيت حتى وجود السلطة القوية، وهذا يفسر جانباً من شخصية الصعاليك القوية، حيث التمرد والنفور، وكره الانقياد، ورفض العيش الذّليل، فهذا مالك بن الرّيب يتمرد على دولة بني أمية ويهجو الحجاج وذلك حين يقول:[2]

إنْ تَنْصِفونَـــا يـــالَ مـــرْوانَ نَقْتَـرِبْ ** إلَيْكُـمْ وإلاّ فَأَذْنـــــــوُا بِبِعـــادِ**

فَإنَّ لَنَـــــا عَنْكُمْ مَزَاحـــاً ومَزْحَـــلاً ** بِعِيسٍ إلى ريحِ الفَلاةِ صَوَادِي**

فَفِي الأرضِعَـــنْ دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبُ ** وكُـــلُّ بِلادٍ أوْطَنَـتْ كَبِـــــــلادِي**

فَمـــاذَا تـــرَى الحَجاجَ يَبْلُغ جَهْـــدَهُ ** إذا نَحْنُ جاوَزْنَا حَقيـرَ زيَـــــادِ**

فَلَوْلاَ بَنُو مَرْوانَ كانَ ابـــــــنُ يوسُفَ ** كَمـــا كان عَبْداً مِنْ عَبِيـدِ إيـــادِ**

زَمـــانٌ هُـــــوَ العَبْـدُ المُقِـرُّ بِذَلَـــةٍ ** يُراوِحُ صِبْيَانَ القُرى ويُغـــــــادِي.**

من هنا نرى أن غياب السلطة الجامعة العادلة التي ترسي دعائم العدل والمساواة بين أفراد المجتمع كانت من أسباب ظهور الصعلكة، وهذا يفسره تلاشي الصعلكة في عصر صدر الإسلام، أي عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين، وظهورها في عهد بني أمية بعد ذلك،[3] كما سنرى فيما بعد.

وأما عن القانون كصورة من صور القوى المهيمنة المحددة لسلوك أفراد المجتمع فنقول إنه من الواضح لم يكن هناك قبل الإسلام قانون عربي، والواقع أنه بإنتقاء وجود الدولة ينتفى وجود القانون، لأن القانون لابد له من سلطة تنفذه وتحميه. فكل ما كان هناك هو العرف الاجتماعي في صورة أعراف وتقاليد تواضع عليها المجتمع نتيجة لظروفه

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص46.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1999م، ج1، ص354.

[3] ينظر: أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، (رسالة ماجستير)، قسم اللّغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: نبيل خالد أبو علي، 1428هـ / 2007م، ص 07.

ومقتضيات حياته ومعيشته كتحريم القتال في الأشهر الحرُم، وحماية الجار، وخلع الشخص الّذي تكثر جناياته.ومن ناحية الدّين، لم يكن هناك دين يوصف المجتمع الجاهلي بالانتماء إليه، والوثنية لا توصف أنها دين، وإنما هي مظهر لا تشريع له[1].

فغياب هذا الدين، وغياب السلطة والقانون، هو ما أدّى إلى ظهور زعامات متباينة.

2- وجود زعامات غير متزنة:

إن عدم وجود هذه السلطة ترتب عليه ظهور الصعلكة وانتشارها، وظهور زعامات غير متزنة في المجتمع الجاهلي، تمثلت في رؤساء القبائل والعشائر، وهؤلاء الرؤساء لم يكن لهم قانون ينظم وصولهم إلى الرئاسة، وإنما كانت هناك صفات تعارفوا على أن يسودوا من يتحلّى بها، وإن اختلفت نظرة القبائل إلى هذه الصفات[2]، وصاحب الخزانة يسوق لنا طرفاً منها نقلاً عن الجاحظ فيقول:

"قال الجاحظ في كتاب شرائع المروءة: وكانت العرب تسود على أشياء، أما مضر فتسود ذا رأيها، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام، وأما اليمن فعلى النّسب، وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلاّ من تكاملت فيه ست خصال...".[3]

لم تكن لهؤلاء الرّؤساء ضوابط أو أسس تقوم عليها رئاستهم، بل اِندفع إليها بعضهم دفعاً في وضع لا يتقبله المجتمع، وظلم تأباه طبيعة مجتمع لم يألف الذّل قطّ، بل ولا مجرد الخضوع له، ولكن هذا البعض اِستطاع أن يستغل بعض الظروف في شخصيته، أو عصبيته، فيطغى، "كما فعل وائل بن ربيعة (كُلَيْبْ) حين كان يحمي المراعي والوحوش ومواقع السّحاب، فلا يرعى حماه، ويجير على الدّهر فلا تخفره ذمته ويقول: وحش أرض كذا في جواري...".[4]

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص ص46، 47.

[2] ينظر: عبد الحليم حفني، المرجع السابق، ص 53.

[3] عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج2، ص269.

[4] أبو عمر بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، حققه وشرحه وعرف أعلامه: محمد التو نجي، ط1، دار المدار الثقافية، ج5، ص191.

وبذلك يكون هؤلاء السّادة قد ساهموا مع الظروف في قسوتها القضاء على مجتمع محدود الموارد، ومن الطبيعي أن يكون هذا السلوك عاملاً من عوامل تمرد بعض الأفراد ولجوئهم إلى وسائل كالصعلكة. وإذا كان في المجتمع الجاهلي من تغريه أموال هؤلاء السادة بالتلصص والسطو عليها، فأولى الناس بذلك هم الصعاليك.

3- الفقر:

أجمعت كتب اللّغة ومعاجمها كما رأينا على أن أصل كلمة الصعلكة هو الفقر، ولا شك أن هذا يؤثر على نشأة الصعلكة، وكذلك على حياة الصعاليك المادية، حيث يتبين أن من أبرز ما قامت عليه الصعلكة في نشأتها هو الفقر.

إن من أسباب الصعلكة الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض مترامية الأطراف فمما لا شك فيه أن طبيعة الحياة في الجزيرة العربية وما تتصف به من قسوة المناخ وندرة المياه وقلة الأراضي الخصبة، كان لها أثر كبير في حياة العربي قبل الإسلام فالناظر في أحوال العرب يجد أن الرعيّ مورد هام للرزق في حياة الجاهلي حينذاك حيث يعتمد العرب على الماشية التي يرعونها، فيأكلون من لحومها ويشربون ألبانها ويلبسون صوفها وأوبارها، وكان الرعيّ يقوم على الإبل خاصة، ولا يجدون أفضل منها رزقاً ولا أغنم منها مورداً حتى إنها جُعِلَتْ معياراً لثروة الفرد في القبيلة.[1]

فالرعيّ دائماً يبقى رهين أحوال الطقس ونزول المطر، والفقر كان دائماً سبباً بارزاً ومهماً في ظهور الصعلكة في العصر الجاهلي، يقول عروة بن الورد:[2]

دَعِينِي لِلْغِنى أَسْعَى فَإِنِّـــــي ** رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُـــــمُ الفَقِيـــــرُ**

وأَبْعَدُهُمْ وأَهْونـــــهُمْ عَلَيْهِـــــمْ ** وإِنْ أَمْسى لَـــــهُ حَسَبٌوخِيرُ**

ويُقْصيــهِ النَّدِيُّ وتَزْدَريــــهِ ** حَلِيلَتُـــهُوِينَهَـــرُهُ الصَّغِيـــرُ**

---

[1] ينظر: عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1421هـ /2003م ص255.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي الضناوي، صص174، 175.

ويُلْفي ذو الغِنى ولـــــــهُ جَلالٌ ** يَكـــــــادُفُؤادُصاحِبِهِ يَطيـــرُ**

قليــلٌ ذَنْبُـــهُ والذَّنْبُ جَـــــمٌّ ** ولكـــــن للغنـــى ربٌّ غَفـــــــــورُ.**

لقد وقع نظر عروة على مجتمع ظالم، يحتقر الفقير لأنه فقير وحسب، ويَجُلُ الأغنياء لا شيء أيضاً إلا لأنهم أغنياء،وأدرك أنه لا حياة للفقير في مجتمع يجل الأغنياء ويتجاوز عن أخطائهم ويحتقر الفقير المعدم.

وهذا السُّلَيْكيصور لنا فقره، وما لحق به من الجوع حتى أنه إذا قام للحاجة أخذه الدوار وتراءت له الخيالات والأطياف، حيث يقول:[1]

وما نَلْتُهَا حَتى تَصَعْلَكْتُ حِقْبَةً ** وكِدْتُ لأَسْبابِ المَنِيَّـــةِ أَعرِفُ**

وحتَّى رأيـــــتُ الجوعَ بِالَّصيْفِضَرَّنِـــي ** إذا قُمْتُ تَغْشانِي ظِلالٌ فأُسْدَفُ.**

فالفقر والجوع كانا من الأسباب التي دفعته للغزو والبحث عن المال الّذي يغنيه.

ويصور الشنفرى جوعه تصويراً دقيقاً فيه من البراعة ما فيه حين قال:[2]

وأَطْوي على الخِمْصِ الحَوايَا كما اِنْطَوَتْ ** خُيـــوطَةُ مَارِي تَغارُ وتُفْتَـــــــــلُ**

وأغْـــدو على القوتِ الزَّهيـــدِ كـــما غَـــــدَا ** أَزَلُ تَـــــهـــــاداهُ التَّنائفُ أَطْحَـــلُ.**

فالجوع والحرمان والفقر كانا حاضرين في شعرهم الّذي هو مرآة حياتهم ودافعهم للصعلكة والغزو والإغارة، من أجل الحياة، بل إن الرضا بالفقر والتقاعس عن الغزو والإغارة يعد عيباً عندهم.

لقد كان الفقر سبباً بارزاً من أسباب ثورة الصعاليك على الأغنياء الّذين كانوا يزدادون غنىً يوماً بعد يوم، حيث فرض على المجتمع الجاهلي نظام اقتصادي غير متوازن جعل الفقير فقيراً، والغني غنياً، تبعاً لظروف البيئة ومكان العيش، فأرض الجزيرة لم تكن سواء، فمنها ما هو خصب كثير الخيرات، ومنها ما هو مجدب لا شيء فيه. وهو ما نطلق عليه في عصرنا فقدان التوازن الاقتصادي؛أي عدم التوازن بين الغنى

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج20، ص 350.

[2] الشنفرى، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص63.

والفقر، فالثروة في المجتمع الجاهلي، لم تكن منظمة تنظيماً صحيحاً، ولا قائمة على أسس صحيحة، ولا موزعة توزيعاً عادلاً، وإنما كانت القبائل القوية هي التي تمتلك البلاد الواسعة وقطعان الإبل الكبيرة، وكان أبناؤها لذلك أغنياء مترفين بالقياس إلى غيرهم من أبناء القبائل الضعيفة الفقيرة، التي لم تكن لها أماكن واسعة تنتشر فيها، ولم تكن لها قطعان الإبل الكبيرة التي تعتمد عليها، بل كانت يائسة متعرضة للخطر من طرف القبائل الأخرى ذات القوة والبأس.[1]

وقد أدى هذا الاضطراب إلى ظهور طبقتين هما: طبقة الصرحاء الأحرار الأغنياء وطبقة الفقراء العبيد الأرقاء. ولا ريب أن أغلب الأغنياء ينتمون إلى الطبقة الأولى، في حين تضم الطبقة الثانية المعوزين.[2]

ومن الطبيعي أن يحس الفقراء بوضعهم السيئ وحياتهم القاسية، وأن تتفاوت انفعالاتهم به وحركاتهم من أجل تغييره؛ فمنهم من ظل خاملاً قانعاً بحياته البسيطة، ومنهم من تمرد على ذلك وسعى سعياً حثيثاً إلى أن ينتزع بالقوة لقمة عيشه، وهؤلاء هم الذين يمثلون الصعاليك الفقراء العاملين الذين نبغ منهم شعراء، من أشهرهم عروة بن الورد الذي كان مثالاً للصعلوك الساعي لإيجاد العلاقة الاجتماعية بين الناس [3] ، ففيأخبار له أن فتاته كانت تحثه على السعي إلى الغنى؛ إذ هو الذي يرفع مكانة الإنسان ويعلي من شأنه، أما الفقر فيسبغ عليه ثوبًا من الذّل والمهانة، ويحط من قدره بين الناس[4]، فيحكي عروة قولها:[5]

قالت تُمَاضِرُ، إذ رَأتْ مَالِي خَوى ** وجَفَا الأقارِبَ، فالفــؤادُ قريـــــحُ**

مَالِـــي رأيتُكَ في النـــدِيِّ مُنـــكَّساً ** وَصِباً، كأنكَ، في النَّديِّ، نَطيـــحُ؟**

---

[1] ينظر: عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرقب، تاريخ الأدب العربي القديم، صص20، 21.

[2] ينظر: عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص257.

[3] ينظر: عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرقب، تاريخ الأدب العربي القديم، ص ص20، 21.

[4] ينظر: عروة بن الورد،الديوان، شرح وتقديم، سعدي ضناوي، ص109.

[5] المصدرنفسه، ص ص109، 110.

خاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصيبَ غَنيمَـــةً ** إنَّ القُعــودَ، مَعَ العِيــَالِ، قَبيـــــحُ**
المالُ فـــيـــــهِ مَهـــابَةٌ وتَجِـلـــَةٌ ** والفقــرُ فيـــــه مَذَلـــَّـــةٌ وفَضُــوحُ.**

ومن هنا يثور الإحساس بالفقر عند بعض الفقراء، حين يجدون جيرتهم وأقربائهم يتمتعون بما يتمتعون به، وهم يعانون، فيثور في نفوسهم التطلع للغنى والحصول على المال، المال الّذي لم يكونوا عاجزين عن إدراكه بالوسائل المشروعة، غير أن مجتمعهم كان ظالماً، فلم يهيئ لهم سبل العيش، لهوان منزلتهم الاجتماعية، فشعروا بذلة الفقر شعوراً حاداً ونقموا على المجتمع الّذي لا يجعل العدالة ميزاناً له، والّذي يعيشون في ظله بينما يقطع الجوع أحشاءهم في هذه الصحراء القاحلة الرّهيبة، فجاشت نفوسهم بالثورة على هذا المجتمع الظّالم.[1]

وننهي هذا الحديث بالقول إن الفقر وإن كان من الأسباب البارزة لظهور الصعلكة إلاّ أنه لذاته لم يكن السبب الوحيد ولا الأهم، وإنما الأهم هو اِحتكاكه بالغنى، غنى أصحاب الإبل في البادية، وهذا المجال من أهم مجالات الصعاليك، كما كان الصعاليك أهم خطر يهدد هذا المجال.

4- طبيعة الحياة في الجزيرة العربية:

كانت الجزيرة العربية بطبيعتها الجغرافية المتميزة، تعتبر ملاذاً آمناً للصعاليك حيث الصحراء المترامية الأطراف، والجبال العالية الممتدة، وندرة المياه وقلتها، وصعوبة الطقس من حيث شدة الحر وشدة البرد. كل هذا جعل الصعلوك يشعر بنوع من الأمان على نفسه، والبعد عن كل ما يطلبه من أعدائِه.

لذلك كان عليه أن يكون عالماً بمجاهل الصحراء، يعرف دروبها وأوديتها وجبالها وواحاتها وطرق تجارتها، حتى يعرف كيف يغزو وكيف يفر ناجياً بنفسه من عدوّه. فبهذه

[1] ينظر: محمد مصطفى هدارة، دراسات في الشعر الجاهلي، دار المعرفة، 1982م، ص05.

الطبيعة، وبما تيسره من الاختفاء في مجاهلها وجبالها ومتاهاتها، من العوامل البارزة في نشأة الصعلكة وحياتها.[1]

ولذلك نجد الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب، إلاّ أنهم يفضلون دائماً أن يكونوا في كنف هذه الطبيعة الصعبة المنال، فنجدهم يألفون الجبال والقفار والأماكن التي يخشى غيرهم المجيء إليها، وحين ننظرلشعرهم نجده حافلاً بذكر هذه الأماكن الوحشية الموغلة في الوحشة والامتناع، فتأبط شرّاً يتحدث عن موضع موحش يخافه العرب لإعتقادهم أنه لا يخلو من السعالى والغول، وهو رحى بطان[2]ولكن تأبط يألف هذا المكان ولا يخاف غيلانه وسعاليه، بل يتحدث عن قتله أحدها فيقول:[3]

ألاَّ مَـــــنْ مُبْلِغُ فِتْيــانَ فَهُـــــمٌ ** بِمالاقَيْتَ يَوْمَ رَحَى بِطـــــــــــانْ**

بِأنِّي قد لَقَيْتُ الغـــــولَ تَـــهْوى ** بِقَفْرٍ كالصَّحيفَةِ صَحْصَحـــــــــانْ.**

ويتحدث أيضاً عن بعض الجبال التي يألفها كجبل إسمه **مروان**، فيقول:[4]

ولا بالشَّلِيلِ رُبَّ مَروانَ قاعِـــــداً ** بِأحْسَنِ عَيْشٍوالنَّفـــاثِرُ نَوْفَـــــلُ.**

ويتحدث الشنفرىعن الأماكن الكثيرة التي يقصدها ويتنقل بينها، ويصفها بأنها جميعاً أماكن نائية متغورة، يقول: [5]

أمْشي بِأطْرافِ الحِمـــاطِ وتـــــارةً ** تَنْفُضُ رِجْلي أَسْبَطاً فَعُنْصُصُرَا**

ويوماً بِذاتِ الرَّسِ أو بَطْنِ مُبْخِلٌ ** هُنـــاكَ يُلْقي القَاصِي المُتَغَـــورَا.**

فأماكن القفر والوحشة التي اِختص الصعاليك بالتردد عليها كثيرة، ومنها: كراء وتيمن اللذان يذكرهما عروة بن الورد في شعره:[6]

تَحِلُ بِـوادٍ مـــــــن كِراءٍ مُضَلَّـــــةٍ ** تُحاوِلُ سَلْمَى أَنْأَهابَوَأَحْصَـرَا**

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص64.

[2] ينظر: المرجعنفسه، ص ن.

[3] تأبط شراً،الديوان، اعتنى به: عبد الرحمان المصطاوي، ص ص 74، 75.

[4] المصدر السابق، ص170.

[5] الشنفرى،الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص ص46، 47.

[6] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: أسماء أبو بكر محمد، ص65.

وكَيْفَ يُرْجِيها وقَدْ جَبَلَ دُونَـــــهَا ** وقَدْ جَاوَرْتُ حَيًّـــا بِتَيْمَنَ مُنْكِـــــــــرَا.**

ويحدثنا الأحيمر السعدي عن فترة من حياته في هذه الأماكن المقفرة الموحشة فيقول: "كنت ممن خلعني قومي وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت أني قد حزت نخل وبَار، وكنت أرى النّوى في رجيع الذّئاب، وكنت أغشى الذّئاب وغيرها من بهائم الوحش ولا تنفر مني لأنها لم تر أحداً قبلي..."[1].

هذا عن الأماكن التي كان الصعاليك يترددون عليها، أما بالنسبة لقسوة الطبيعة من حرِّها وقرِّها، فيحدثنا الشنفرىعن البرد الشديد الّذي يجعل صاحب القوس يكسرها وهي التي لا غنى له عنها كي يستدفئ بها، فيقول:[2]

ولَيْلَـــةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القوْسُ رَبُّهـــا ** وأَقْطُعَهُ اللاّتي بـــــــها يَتَنَبَـــــــلُ**

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصُحْبَتِي ** سُعارٌ وإرْزِيزٌ ووَجْرٌ وأُفْكُـــــــــلُ.**

ويصف شدة الحر الّذي يجعل الإنسان يرى خيوطاً كخيوط العنكبوت من شدة الهاجرة، فهذا الحر لا تحتمله حتى الأفاعي التي اِعتادت العيش في الصحراء ، يقول في لاميته:[3]

ويوْمٌ مِـــنَ الشِّعْرِي يذوبُ لِوابُـــــــهُ ** أفاعيهِ فـــي رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَـــــلُ**

نَصَبْتُ لـــــــــه وَجْهي ولا كُنَّ دونَـــــــهُ ** ولا سِرٌ إلاَّالأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ.**

إنها الطبيعة التي قست على أهلها، ولكنها لم تخذلهم يوماً، بل كانت موطناً وملجأ ومسكناً ألفوا العيش فيه، فهي بمثابة حصون لهؤلاء الصعاليك، حين يلم بهم خطر أو يتعقبهم طالب أو مطارد، بل كانت أحياناً مستراحاً لهم حين يشعرون بالضيق من النّاس والنفور منهم، لما بين حياتهم وحياة النّاس من تصارع.

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ج2، ص 787.

[2] الشنفرى،الديوان، جمعتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص69

[3] المصدرنفسه، ص 71.

5- التمرد والخروج عن الأعراف السَّائدة:

إن الشذوذ وسوء الخُلق لا يكاد يخلو منه مجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، وبعقوبة شديدة في الإسلام، ففي الجاهلية كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذي تكثر جرائره وجناياته، بأن تعلن في مواسم الحج أو الأسواق أنها خلعت (فلاناً) فلا تطالب به إذا أُعتديَ عليه، ولا يلحقها من جريرته شيء إن اِعتدى على أحد، فعرف هؤلاء بعد ذلك بالخلعاء مثل: قيس بن الحدادية الذي خلعته قبيلته بسوق عكاظ.[1]

إن هؤلاء الصعاليك فرغوا حياتهم لمزاولة الأعمال العدائية، من سطوٍ وقطعٍ للطريق واعتداءٍ على الممتلكات.

وإضافة إلى العوامل السابقة، وهي عوامل عامة يشترك فيها جميع الصعاليك على اختلاف قبائلهم، هناك عوامل يغلب عليها الطابع الفردي؛ أي أنها تخص صعلوكاً دون آخر، فلا نستطيع أن نتجاهل تأثيرها مهما قل في ظاهرة الصعلكة، ومنها:

6- عوامل فردية:

ونعني بها العوامل التي من شأنها أن تتعلق بالفرد وحده، وتنصب عليه آثارها دون أن يشاركه المجتمع أو الجماعة فيها، وهي ظروف كثيرة، منها ظروف الأغربة السّود.

فكان هؤلاء الأغربة ينشأون في ظروف قاسية على نفوسهم أشدّ قسوة، ومتناقضة أشدّ التناقض، كانوا يخرجون إلى الحياة فيجدون أنفسهم عبيداً يلقون كل ما يلقى العبيد من ضياع ومذلة وهوان، ومع ذلك فهم موقنون فيما بينهم وبين أنفسهم كل اليقين بأنّهم مظلومون عن عمدٍ وإصرار، فهم في حقيقة أمرهم أحرار لا عبيد ومن حقهم أن يكونوا من طبقة السّادة، لا من طبقة العبيد الأرقاء، وكان أشد ما يؤلمهم بطبيعة الحال أن يجدوا هؤلاء الّذين يرونهم ـــــ في الواقع ـــــ إخوة لهم متسلطين عليهم، مستعبدين إياهم.فأما العاجزون منهم وذو الهمم الضعيفة فكانوا يبتلعون أحزانهم، ثم يظلون يجترونها حتى يدركهم الموت أو يدركوه، وأما الّذين يجدون في نفوسهم قدرة على كسر هذا

[1] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج14، ص 137.

القيدومهرباً من هذا السّجن الاجتماعي، فإنهم كانوا لا يترددون، فمن المرجح أنه لم يكن ليلتقي الذل والهوان مع ما في نفوسهم من مقومات العزة والأنفة، ولم يكن حينئذٍ أمامهم إلاّ الهروب من هذا الوضع والخروج عليه إلاّ الصعلكة.[1]

7- الوراثة:

يمكن للوراثة أن تكون أحد أسباب نشأة الصعلكة، وذلك بالنظر إلى النزعة النفسية فالنزعة النفسية موروث، حيث إن الصعلكة ـــــ كما قلنا ـــــ كانت ظاهرة اِجتماعية غير محدودة العدد بالنسبة إلى مزاوليها، فإن الوراثة من شأنها أن تحافظ على بقائها ما دامت الظروف مهيئة لذلك، فحين نتبع بعض أخبار القبائل نجد أن منها ما اُشتهر بصفات معينة ظل أفرادها يتوارثونها حتى أصبحت صفة لهم يعرفون بها مثل صفة العدو، كما سميّبعض بني عامر بن صعصعة بالخلعاء لأنهم كانوا لا يعطون أحداً طاعة، فظلت هذه الصفة لصيقة بهم وسموا من أجلها بهذا الاسم، وكذلك نجد بطناً من عبد القيس يسمون الرواطيوكانوا يوصفون بأنهم لصوص، وبقي هذا الوصف عليهم، إضافة إلى أن بعض القبائل اُشتهرت بتخريج عدد كبير من الصعاليك وشهرتها بكثرة الغارات، ومن هؤلاء: بنو سعد من بني تميم ومن صعاليكهم: السليك بن السلكة، عبيد بن أيوب، وعبدة بن الطبيب وغيرهم كثير[2].

فالوراثة إذن بهذه الصورة تكون من أسباب ظهور الصعلكة، سواء أكان أثر الوراثة من حيث النّزعة النفسية، أم من حيث الدوافع المباشرة التي كانت تدفع إلى الصعلكة، كتوارث صفة العدوِ ونحوها من الأدوات المباشرة في مزاولة هذه الظاهرة والتهيئ لها، حيث يزيد من فعاليتها ومن توجيهها في مجال معين من السُّلوك.

لقد اِجتمعت في نشأة الصعلكة عوامل مختلفة وعديدة، يمكن إجمالها عامة في ثلاث مؤثرات رئيسية وهي:

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص ص72، 73.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص80.

* **المؤثر الاقتصادي**، ويدخل ضمنه الفقر أو عدم التوازن بين الفقر والغنى.
* **المؤثر الجغرافـــــــــي**، ويشمل طبيعة الأرض والحياة في الجزيرة العربية.
* **المؤثر الاجتماعي**، ويقع ضمنه غياب الدولة الجامعة، والتمرد والخروج عن الأعراف السائدة إضافة إلى وجود زعامات غير متزنة، وعوامل فردية.

وقد تباينت آراء الدارسين لهذه الطائفة حول أي من العوامل كان الأساس في نشوء هذه الظاهرة الاجتماعية.

إن طائفة الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، كانت تلتقي على حالة مهمة في حياة العرب حينذاك، وهي حالة "فقد الإحساس بالعصبية القبلية، وأن كل قبيلة كانت تقوم على إيمان أفرادها بوحدة قبيلتهم، كونها الكيان الاجتماعي الّذي يلتقي عنده هؤلاء الأفراد"[1]،فقد اِنفصل عنها من خلعتهم منها، بينما كان إيمان أفراد كل قبيلة بنقاء جنسها مدعاة لوجود أغربتها، وكان التباين الاجتماعي بين الأفراد وكذا التباين الاقتصادي بينهم من حيث درجة الغنى والفقر، عاملين آخرين من عوامل ظهور الصعلكة.وإذا كان بعض الدارسين لشعر هؤلاء قد ركز حديثه عن الشعراء الصعاليك من حيث الموضوعات التي تناولوها في أشعارهم، وعلى آرائهم الاقتصادية والاجتماعية وعقدهم النفسية الناجمة عن اِنقطاع صلاتهم بقبائلهم، وعدوا الفقر عقدة يعانون منها، فقد رأى آخرون رأياً مغايراً اِنصب على الجانب النفسي وتحديداً على فئة الخلعاء الذين يحسوا بتلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم، أما آخرون فرأوا أن عقدة اللّون التي تعاني منها فئة الأغربة السود أبناء الإماء الحبشيات، كانت من أهم عوامل ظهور الصعلكة. في حين رد آخرون ظهور الصعاليك إلى ما أسموه بعدم إدراك قبيلتهم أفكارهم، مما سبب خروجهم على طاعة مجتمعهم وهروبهم منه، وهو تفسير ـــــ مع أهميته ـــــ يتباين تماماً مع جميع الأسباب والعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي قال بها الدارسون الآخرون، بدليل أنه من

[1] ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431 هـ/ 2010م، ص33.

يتأمل أخبار الصعاليك وأشعارهم يلفت نظره شعور حاد بالفقر وإحساس مرير بوقعه على نفوسهم وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية.ورد دارسون آخرون أن صراع الصعاليك جاء تمرداً على الأوضاع القبلية التي جعلتهم يشعرون بالضيق الاقتصـــادي فكان عليهم الاعتماد على أنفسهم بالأسلوب الّذي يختارونه.[1]

تلك هي أبرز العوامل التي أسهمت في ظهور طائفة الصعاليك مثلما حددها ورآها الدارسون، وهي عوامل ظهر ترادف بعضها، وبدت أشبه بالقواسم المشتركة لظهور الصعاليك، ولاسيما عامل الفقر الذي كان واحداً وإن اِختلفت أسبابه ودوافعه.

خامساً: أشهر أعلام الصعاليك:

حين نتحدث عن الشعراء الصعاليك لا نزعم أننا نستطيع الحصر على وجه اليقين لأن هؤلاء الشعراء وأخبارهم متفرقة بل متناثرة في الكتب القديمة، سواء أكانت كتب التاريخ، أم كتب الأدب، ولا نعتقد أن هناك من يستطيع أن يزعم أن في وسعه أنيُلِمَ بجميع الكتب العربية ليستقصي كل ما فيها عن الصعاليك، وكذلك لكون هذه الأخبار معتمدة على الروايات، ولما يفترض في الروايات من اِختلاف الرواة في قوة ذاكرتهم وفي دقتهم في النقل فتعرضت لاضطراب وتعارض واضحين في شعر الصعاليك.

1- تأبطّ شرّاً:

هو "ثابت بن جابر بن سفيان بن عثميل بن عدي بن كعب بن حزن – وقيل: بن حرب – بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وأمه اِمرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القَين بطن من فهم، ولدت خمس نفر: تأبطّ شرّاَ، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له، وفي روايات لا براكي له، ولا تراكي، وقيل: إنها ولدت سادساً واِسمه عمرو".[2]

---

[1] ينظر: ضياء غني لفتة، المرجع السابق، ص ص33– 35.

[2] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج21، ص145.

وفي تاريخ الأدب العربي لبلاشير: "تأبط شرّاً، هذا لقبه واسمه ثابت بن جابر من قبيلة فهم بن عمرو بن قيس بن غيلان في شرقي الجزيرة".[1]

أما أبوه فقد مات وثابت صغير، ولم ترد عنه أخبار مشهورة.[2]

وبعد وفاة أبيه جابر، تزوجت أمه من الشاعر أبو كبير الهذلي، فَكَرِهَ تأبطّ شرّاً وحاول أن يقتله، فأخفق وخافه.[3]

* **سبب تلقيبه بـــ "تأبط شرًّا":**

وتأبط شرّاً لقبٌ لُقِبَ به، ذكر الرواة أن أمه قالت له: "كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك، فقال لها: سآتيك الليلة بشيء. ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهنّ في جراب متأبطاً به، فألقاه بين يديها، ففتحه، فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت، فقال لها نساء الحيّ: ماذا أتاك به ثابت، فقالت: آتاني بأفاعي في جراب قلن وكيف حملها؟، قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شرّاً". فلزمهلقب تأبط شرّاً.[4]

وقيل إنما سمي كذلك لبيت من الشعر قاله:[5]

تَأَبَطَّ شَرّاً ثمَّ راحَ أو اِغْتَـــدَى ** يُوائمُ غُنْماً أو لِسَيْفٍ على ذَحْـــلِ.**

وقيل: "إن أمه سئلت عنه، وكان قد وضع تحت إبطه سكّيناً أو سيفاً أو جعبة سهام فقالت: لا أدري تأبط شرّاً وخرج".[6]

وربما كان هذا الأخير هو الأقرب إلى الواقع وأميل إلى الصواب.

وفي أخبار له: "إن تأبط شرّاً كان أعدى العدائيين ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي أسمنها

---

[1] بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ط2، دار الفكر، دمشق، 1404 هـــ /1984م، ص316.

[2] تأبط شرّاً، الديوان، اِعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص05

[3] غازي طليمات وعرفان الأشقر، الشعر الجاهلي: قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص590.

[4] الأصفهاني، الأغاني: تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج21، ص ص144، 145.

[5] تأبط شرّاً، الديوان، اِعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص06.

[6] المصدر نفسه، ص ن.

ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله".[1]

اتسمت حياته بغير قليل من الاضطراب جعلته منه شخصاً متمرداً علـــى واقعه ثائراً على نفسه حتى ألفيناه صعلوكاً فاتكاً يتقن مهارات عديدة في هذا الميدان.

عاش حياة مملوءة بالقتال والغزوات، فقد كان فاتكاً من أغربة العرب الأشراس وعلى الرغم من ضآلة حجمه، إلا أنه كان عَدَّاءً لا نظير له، يسابق الخيل، ويضرب به المثل بالسرعة إذ كان أعدى ذي ساقين، ويوصف بأنه ذو سمع رهيف وبصر حادّ ودهاء ليصل الأمر به أن يقتل من يكرمه مهما كان شأنه.[2]

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن نهاية هذا الشاعر كانت على يد غلام اِسمه سفيان بن ساعدة، إذ تخبأ له وكَمَنَ وراء شجرة يترقبه، حتى إذا اِقترب أطلق عليه سهماً فأصابه في قدمه، فأدمى تأبط ولحق بسفيان وقتله ثم عاد يعرج إلى رفاقه ليموت بينهم، وقيل إن مقتله كان في غزوة من غزواته. وكانت سنة وفاته 530م، وقيل 540م.[3]

أما عن شعره فقد صوّر كل ما في حياة الصعاليك من خير وشرّ، وفي ديوانه الفخر بالصبر وقوة البأس، واِحتمال المكاره، واِقتحام الشدائد، وفيه اِعتزاز بشجاعة القلب، وصلابة الجسد، وسرعة العدو في الكر والفر، والتفرد في الصحراء، والاعتصام بالقمم التي لا يرقاها غير الوعول والنسور، وفيه وصف الصحراء ومخاوفها ومتاهاتها.

ومن يستعرض ديوان تأبط شرّاً يقف على حياة الصعلكة من مبتدئها إلى منتهاها ويستنبط ما ينتظم هذه الحياة الغريبة من عادات ومفاهيم، ومن شعره:[4]

قَليـــلُ غِرارُ النَّومِ أكْبَرُ هَمِـــــهِ ** دَمُ الثَّـــأْرِ أو يَلْقَـــى كَمِيّـــــاً مُقَنَعَـــــا**

قَليـــلِ اِدّخارِ الـــزَّادِ إلاّ تَعِلّـــــــةً ** وقَد نَشَرَ الشّرُ سُوفُ واِلتصق المِعَـــا**

يَبيتُ بمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ ** ويُصْبِحُ لا يحمي لها الدَّهْـرُ مرْتَعَـــــــا.**

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج21، ص146.

[2] ينظر: تأبط شرّاً،الديوان، اِعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص07.

[3] المصدرنفسه، ص08.

[4] المصدرنفسه، ص34.

وقال في لقائه الغول وقتاله له: [1]

أَلاَ مـــــن مبلغٌ فِتْيَـــانَ فَهْـــــمٍ ** بمـــــا لاقَيْتُ عِنْدَ رَحَـــــــى بِطَـــــانْ**

بِأنِّي قَدْ لَقَيْتُ الغـــــولَ تَهْـــوَى ** يَسْهَبُ كالصَّحيفَـــــــةِ صَـحْـصَـحـــانْ**

فَقلـــتُ لَها: كِلاَنَـــــــا نَضُو أَيْـنَ ** أَخُـــــو سَفْرٍ فَخَلِّي لـــي مكانِـــــي؟.**

2-الشَّنْفَرَى:

اِختلف العلماء في "اِسم الشّنفرى، ولقبه، ونسبه، وذهب معظمهمإلى أن الشّنفرى لقبه، ومعناه غليظ الشفتين، وأن الشاعر لُقِبَ بذلك لعظم شفتيه"،[2] إن الشنفرى كان من "الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأرز بن الغوث، أسرته بنو شبابة* بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان".[3]

نشأ في أزد في اليمن، ولكن بنو شبابة بن فهم أسروه صغيراً، فظل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج رجلاً من بني شبابة ففدوه بالشّنفرى، فعاش في بني سلامان بنجد أسيراً كالعبد، أو عبداً كالأسير، حتى تعلق بفتاة هي بنت الرجل الّذي يعيش عنده، وأراد أن يتزوجها فأنفت من ذلك، وأحس المهانة في مقامه بين بني سلامان، فلجأ إلى الصعلكة واِستغل معظم نشاطه فيها في الانتقام من بني سلامان حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً.[4]

والشّنفرى شاعر قحطاني من الفحول وصعلوك من شياطين الصعاليك، قيل: اِسمه الشّنفرى، وقيل: اِسمه عمرو بن مالك، كان لأبيه مكان في قومه، أما أمّه فمختلف فيـــهاقيل: كانت سبية، ولذلك عُيِّرَ بها الشّنفرى، وعُدَّ هجيناً من أغربة العرب، وفي شعره ما يشير إلى ذلك.[5]

---

[1] المصدر السابق، ص ص74، 75.

[2] الشّنفرى، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص09.

* **وفي رواية: "بنو سبابة".**

[3] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج21، ص210.

[4] ينظر: الأصفهاني،المصدر السابق، ص 210.

[5] ينظر: غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص601.

والشّنفرى هو الّذي يضرب به المثل في العدو الّذي يسبق الخيل، ويضرب به المثل في الحذق والدّهاء. وهو صاحب لامية العرب التي يعتز بها الشعر العربي كـــله والتي فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها، حتى ترجمت إلى نحو خمسة لغات أجنبية، والتي حظيت منذ القديم بإعجاب الأدباء والنّقاد، حتى أفرد لها الزمخشري كتاباً لشرحها هو: "أعجب العجب في شرح لامية العرب"،[1]ومطلعها:

أقيموا بني أُمِيَّ صدور مطيكم ** فإنيَّ إلى أهلٍ سواكم لأَمِيـــلُ.**

***مقتل الشنفرى:**

"قتل الشّنفرى على يد "أسيد بن جابر" وهو أخو جزام بن جابر، وجزام هذا قتله الشّنفرى، فأراد أسيد وإبنا جزام الثّأر له، فترصدوا له ليلاً، وقتلوه، وقال تأبط شرّاً يرثيه: (2)

لا يُبْعَـدَنَّالشَّنْفَـرى وسِلاحُـــــهُ ** الحَديدُ وشُدَّ خَطْوِهِ مُتَواتِـــــــــرُ**

إذا راعَ رَوْعَ الموْتِ راعَ وإنْ حَمَـــى ** حمـــــَى معه حرٌ كَريمٌ مُصابـــرُ".**

قتل الشّنفرى من بني سلامان تسعة وتسعين رجلاً. "ولما قُتِلَ وطُرِحَ رأسه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشّنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتمت به المائة".(3)

ومن شعره : (4)

ومـــــــرْقَبَةٍ عَنْقَاءَ يَقْصُرُ دُونَـــــهَـا ** أَخُو الضِّرُوةِ الرِّجْلَ الحفيُّ المخففُ**

نعبت إِلَى أَدْنَى ذُرَاهَا وقـــد دَنَـــا ** من اللّيـلِ مُلْتَفٌّ الحديقـةِ أَسْـــــدَفُ**

فَبِتُ على حَـدِّ الذراعين مُجْذِبـــاً ** كمـا يَتَطـوَّى الأرْقَـــــمُ المُتَـعَطِـفُ.**

ومما قاله في لاميته:(5)

---

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص112.

[2] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، ج21، صص207، 208.

[3] الأصفهاني، المصدر السابق، ص209.

[4] الشّنفرى، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص53.

[5] المصدرنفسه، ص ص58، 59.

فقدْ حُمــَتِ الحاجاتُ واللّيــلُ مُقْمِـــــرُ ** وشُدَّتْ لِطَياتي مَطــايـــــا وأرْحَـــلُ**
وفي الأرضِ مَنْأًى لِلكَريمِ عـــــــنِ الأَذى ** وفيها لِمَنْ خافَ القِلـــــى مُتَـــعَزّلُ**
لَعُمْرُكَ ما بالأرض ضيقٌ على اِمـــــرئٍ ** سَرى رَاغِباً أو راهبـــــاً وهُوَ يَعْقِلُ.**

وقد حدد الزركلي وفاته نحو سنة: 70هـ / 525م.[1]

ومما سبق ذكره من شعراء الصعلكة لا يمكن القول بأنه قد أنبنا على كل هذه الفئة الاجتماعية الثائرة، بقدر ما يمكن القول إننا تعرضنا لأشهر هؤلاء الشعراء ـــــ تأبط شرًّا والشنفرى إضافة إلى عروة بن الورد الذي تعرضنا لترجمة حياته في مدخل هذا البحث ـــــ حتى نمهد الأرضية المعرفية (اجتماعية، تاريخية، واقتصادية) ليتسنى لنا التفصيل في موضوع بحثنا.

سادساً: الصعلكة والإسلام:

جاء الدين الإسلامي مبشراً بعهد جديد، عهد نور وهداية، أمن وأمان، جاء ليوحد النّاس على دين رباني واحد، أنار به القلوب، فرققها وهذبها ونقاها من كل شائبة تشوبها فأشرقت الأرض بنور ربها، واِستنارت بنور الهداية والإيمان، فتغيرت النفوس، وتلاشت الأحقاد، وأصبحت الأمة جسداً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

لقد بدأ التشريع الإسلامي بوضع الأسس السليمة للمجتمع الإسلامي فوضع القوانين الصارمة التي تحد من كل عمل من شأنه أن يعكر صفو الحياة، خصوصاً تلك الأعمال التي عانى منها المجتمع الجاهلي أشد المعاناة، مثل قطع الطريق، والإغارة على القوافل والغزو والسلب والنهب والقتل وغيره. ووقف القرآن الكريم موقفاً حازماً من كل من تسول له نفسه تعكير صفو الحياة، وانتهاك الحرمات والأموال، وقطع الطريق وإرهاب الناس[2]، قال تعالى: **<<إنَّمَا جَزاءُ الّذِينَ يُحارِبونَ اللهَ ورَسولَهُ ويَسْعَوْنَ فِي الأرْضِ فَساداً أنْ يُقْتَلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أَيْديهِمْوأرْجُلَهُمْ مِن خِلافٍ أوْ يُنْفَوا مِنَ الأرْضِ**

[1] المصدر السابق، ص13.
[2] ينظر: أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص10 .

ذلِكَلَهُمْ خِزِيٌّ في الدُّنْيا ولهُمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ(33) إلاَّ الّذِينَ تَابُوا مْن قبْلِ أنْ تَقْدِروا عَلَيْهِمْ فاِعْلَموا أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ (34)>>.[1]

فلا عجب أن نرى بعد ذلك أن الصعلكة أصبحت غريبة في المجتمع المسلم، بل لم تعد محل فخر كما كانت في الجاهلية لهذا نرى أن كثيراً من الصعاليك يترك الصعلكة ويعلن توبته، وينخرط في الدين الجديد الّذي طابت له نفسه بعد أن قضى على الفوارق الاجتماعية، فلا فرق لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى، وعدل في تقسيم الأرزاق بين جميع أفراد المجتمع العربي المسلم.

ومن هؤلاء الصعاليك التائبين الأحيمر السعدي، الّذي كان سيفه يهدد التّجار وقوافلهم كما يقول:[2]

نَهَقَ الحِمارُ فَقُلْتُ: أَيْـــــمَنَ طائـــــرُ** إنَّ الحمارَ مِنَ التُّجارِ قَريـــبُ.**

ثم تاب فلم يُخْفِ حنينه إلى عادة سيطرت على حياته، ولكنه مع هذا الحنين مُصرّ على التوبة، بل نصح الصعاليك بأن يسلكوا طريق التوبة، فيقول:[3]

أشْكُو إلى اللهِ صَبرِي عـــــن زَوامِلِهِمْ ** وما أُلاقِي إذا مَرُّوا من الحُزْنِ**

قُلْ لِلُصوصِ بَنـــي اللَّخْنـــاءِ يَحْتَسِبُوا ** بَزَّ العِراق ويَنْسَوا طُرْفَةَ اليَمَـنِ**

فُـــرُبَّ ثـــوبٍ كريـــمٍ كُنـــتُ آخُـــذُهُ ** من القِطـــارِ بِلاَ نَقْدٍ ولا ثَمَـــنِ.**

ومن الّذين تابوا وتركوا الصعلكة في الإسلام، أبو خراش الهذلي، الّذي أسلم وعاش بعد النبي(ص) مدة ومات في خلافة عمر بن الخطاب(ض)، ومنهم عبدة بن الطيب الّذي أسلم وعاش في الإسلام زماناً طويلاً.[4]

لم يقضِ الإسلام على الصعلكة قضاءً تامّاً، بل بقيت في جميع مراحل الدولة الإسلامية وإن كانت قد ضعفت في صدر الإسلام، وما إن بدأت الخلافات تدب بين

---

[1] سورة المائدة، الآية: 33، 34.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ج2، ص788.

[3] ابن قتيبة، المصدر السابق، ص 789.

[4] ينظر: عبد الحليم حفني، الشعراء الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص ص121- 123.

المسلمين طوائف وأحزاب، وتضعف السلطة الحاكمة حتى بدأت الصعلكة تظهر من جديد، ولكنها تميزت عن صعلكة الجاهلية بالطابع الفردي، لأنها ظلت بعد الإسلام أقرب إلى الشذوذ الّذي لا يكاد يخلو منه مجتمع، ولكن الصعلوك ظل منبوذاً في المجتمع المسلم مما جعله يفر من الناس خوفاً من العقاب الّذي قد يلقاه،[1] يقول الأحيمر السعدي مصوراً أنسه بالذّئب وخوفه من الناس:[2]

عَوى الذِّئبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بالذّئبِ إذا عَوى ** وصَوَّتَ إنْسانٌ فَكِدْتُ أَطيرُ.**

ومن الشعراء الّذين هربوا من الحجاج، مالك بن الريب المازني حين هجاه بعد أن تمرد عليه واِستعصى عليه، وفي ذلك يقول:[3]

فَإنْ تَنْصِفونَا يَالَ مروانَ نقترِب ** إليْكُمْ وإلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعادِ**

فإنَّ لنا عنكم مَزَحاً ومَزْحَلاً ** بعيسٍ إلى ريحِ الفَلاةِ صَوَادِ.**

وهذا أبو النشناش النهشلي الّذي كان يعترض القوافل بين طريق الشام والحجاز فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة، ثم أمكنه الهرب على حين غفلة، فقال في ذلك شعراً سار فيه على نهج الصعاليك العرب في فخرهم بالحصول على الغنائم والأسلاب، وأن العيش يطلب من صاحبه الجرأة وألا يبالي بالموت في سبيل الظفر بما يغنمه من المال[4]، يقول:[5]

فَلَلْمَوْتُ خَيْر لِلْفَتَى من قُعودِه ** فَقيراً ومن مَوْلِي تَدُبُّ عَقارِبُه**

ولمْ أرَ مِثْلَ الهم ضَاجِعُهُ الفَتى ** ولا كَسَوَادِ اللّيلِ أَخْفَقَ طالبُه**

فَمُتْ مُعْدَماً أو عِشْ كريماً فإنّني ** أرى الموتَ لا ينْجو من الموتِ هاربُه.**

إنها حياة الصعلوك أينما وجد، حياة كلها حركة ونشاط، حياة لا خمول فيها أمواج متلاطمة من الكرّ والفرّ، والجوع والشّبع، والخوف والأمن، والحل والترحال.

---

[1] ينظر: أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص11.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج1، ص354.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص354.

[4] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، صص 132، 133.

[5] أبو تمام، ديوان الحماسة، شرح: التبريزي، مطبعة التوفيق، مصر، 1322هـ ، صص 87، 88.

إنه الإسلام العظيم الّذي حارب الصعلكة، جعل الصعلوك يشعر شعوراً صادقاً أن الحياة في المجتمع المسلم لا تستقيم للصعلوك إلا بتركه الصعلكة، وإلاّ فإن عليه أن يغادر هذا المجتمع، إلى مكان يتسع لا يضيق به، وأنَّى له هذا المكان؟، إنها الصحراء إذن ثانية فهي المكان الآمن الّذي لا يخشاه الصعلوك.

لقد ظل صعاليك الإسلام محتفظين بالطابع العام لشخصية الصعاليك من صلابة وشدة وتحرر واِعتداء بالذات، وكان لهم من القوة والمنعة ما جعل كثيراً من الأطراف المتنازعة في صراعات الفتن تحاول اِستمالتهم، كما في أخبار عبد الله بن الحر الّذي تودد له كل من معاوية وعبد الملك بن مروان، لكنه ظل حصناً مستقلاً عن الإنطواء تحت أي سلطان، وكذلك طلب منه الحسين بن علي العون في القتال، فأبى وظل معتصماً بقوته واِستقلاله.[1] وحاول بعض الأمراء اِستمالة بعض الصعاليك الشعراء كي يستفيدوا من شعرهم، فقربوهم وأجزلوا لهم العطاء، من هؤلاء بكر بن النَّطاح الّذي رافق أبا دلف ومدحه[2].وكذلك ما كان من مرافقة مالك بن الريب لسعيد بن عثمان والي خراسان.[3]

*** الأسباب التي أدت إلى عدم توقف الصعلكة في عهد بني أمية:**

1- جور و ظلم الدولة الأموية:

كانت الأموال التي ترد إلى بيت مال المسلمين في عهد بني أمية كثيرة جداً، و لكن خلفاء بني أمية لم يعدلوا بين الرعية في تقسيمها، حيث أن الخلفاء الأمويين أعطوا القبائل الموالية لهم، و حرموا كل من ناصبهم العداء، و أضف إلى ذلك قسوة عمالهم وولاتهم في جمع الأموال من الرعية، دون شفقة أو رحمة، أو مراعاة لظروف اقتصادية أو غيرها. إن الصعاليك الأمويين لم يكونوا بعيدين عن هذه المظالم، بل كانوا متصلين بها واعين

[1] ينظر: عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص100.

[2] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج19، ص36.

[3] ينظر: المصدرنفسه، ج22، ص304.

لها، ساخطين على الخلفاء الأمويين بسببها، و لعل أشهر صعلوك ندد سياسة الأمويين الجائرة هو مالك بن الريب التميمي.[1]

يقول مالك منددا بجور الأمويين و ظلمهم:[2]

أَحقًا على السُّلْطانِ أما الذّي لهُ** فَيُعْطى و أمـــا ما عليهِ فَيُمْنَعُ.**

وما أنـــــا كالبعيرِ المُقيمِلأهلِـــهِ** على القَيْدِ في بَحْبوحَةٍ يرتفعُ.**

و في أبيات أخرى يبدي رفضه لحالة الاضطهاد التي يعاني منها، فيقول مهددًا:[3]

فإن تنصفونا يال مـــروان نقترب ** إليكـــم وإلا فأْذنـــوا ببـــعـــــادِ**

فإنَّ لنا عنكم مَزَحـــــاً ومَزْحَـــــلاً ** بعيسٍ إلى ريـــح الفلاة صَـــوَادِ.**

إن مالك بن الريب يشكو من ظلم بني أمية وجورهم، وعدم عدلهم بين القبائل العربية، ومن الصعاليك الذين رافقوا مالك وثاروا معه شظاظ وهو مولى من بنـــي تميم وكان أخبثهم، وأبو حردبةأحد بني أثالةبن مازن، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة وفيهم يقول الراجز:[4]

الله نَجـــــاكَ مـــــنَ القَصـــيمِ ** وبَطْنَ فَلْـــج وبَنـــــي تَميـــــمِ**

ومـــــن أَبـــــي حُرْدُبَة الأَثِـــيم ** ومـــالِك وسَفيـــــهِ المَسْمـــــومِ**

ومـــــــنْ شُظاظِ الأَحْمَرِ الزَّنيـــمِ ****ومـــنِغُوَيْثٍ فاتِحِ العُـــــكومِ.

2 -اضطراب الأحوال السياسية:

كان عهد بني أمية عهد فتن وثورات وتمرد، الأمر الذي شغل الأمويين طويلاً وكلّفهم كثيراً فكانوا يستعينون ببعض القبائل العربية العدنانية على أعداءهم الثائرين، هذه القبائل

---

[1] ينظر: حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ط4، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص ص57،58.

[2] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج22، ص ص309، 310.

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج1، ص 354.

[4] الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج22، ص 305.

التي لا يلتفون لها إلا في وقت الشدة، فإذا ما أخمدوا نار الفتنة، انقلبوا عليـــها الأمر الذي يرى فيه بعض الشعراء الصعاليك خيانة للعهد، وانكاراً للفضل، يقول مالك بن الريب:[1]

لَوْ كُنْتُمْ تُنْكِرونَ الغَدْرَ قُلْتُ لَكُمْ: ** يا آل مَرْوانَ جارِي مِنْكُمْ الحُكْمُ**

لا كُنْتُ أُحَدِثُ سَواءً فِي إمارَتِكُـمْ ** والذِّي كانَ مِنـــــي قَبْلُ يَنْتَقِـــــمُ**

نَحنُ الذِّينَ إذا خِفْتُمْ مُجَلَّلَـــــةً ** قلتم لَنا: إنَّنَا مِنْكُمْ لَتَعْتَصِـــــــمُوا**

حتَّى إذا اِنْفَرَجَت عنْكُم دُجُنَّتُـــها ** حِرْتُـــــم كَجَرْمٍ فَلا إلٌ ولا رَحِـــــم.**

ومن أبرز الصعاليك الأمويين الذين أنشأتهم الأحوال السياسية المضطربة "عبد الله بن الحجاج من قيس، وعبيد الله بن المر الجعمي"[2].

3 –العصبية الجاهلية:

نحن نعلم أن القبائل العربية آمنت بالإسلام واطمأنت له وعملت بتعاليمه، فسادت الأخوة في الدين، وذابت العصبية المقيتة فأصبح التعصب للدين، غير أن بعض العرب لم يعجبهم هذا الانقياد وهذه الطاعة، فاِستحكمت منهم الجاهلية بعصبيتها، فأصبحوا شُذاذاً تخلت عنهم قبائلهم ونفتهم لكثرة جرائمهم. فلم يجدوا ملاذاً لهم إلا الصحراء بعيداً عن عيون الدولة وكل من يحاول الإمساك بهم.ومن هؤلاء الصعاليك يعلى الأحول اليشكري الذي خلعه قومه، فاِنضم إلى اللصوص وأخذ يغير على أحياء العرب.[3] و"عبيد بن أيوب العنبري، وكان قد جنى جناية فطلبه السلطان، وأباح دمه، فهرب في مجاهل الصحراء".[4] و"القتال الكلابي وهو من بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة"، وهو القائل:[5]

أَيُرْسِلُ مروانَ الأَميرَ رِسالَـــــةً ** لَآتيهِ إنِّـــــي إذن لَمُضَـلَـــلُ**

وفي باحَةِ العَنْقاءِ أو في عَمايَةٍ ** أَواكُ دمى من رَهْبَةِ المَوْتِ مُوئِلُ.**

---

[1] المصدر نفسه، ص 310.

[2] حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص 59.

[3] ينظر: حسين عطوان، المرجع السابق، ص ص 60، 61.

[4] الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص784.

[5] المصدر نفسه ، ص705.

"و على اختلاف هذه الطبقات الثلاث وهم الذين تصعلكوا تمردًا على الظلم الاجتماعي، و الذين ثاروا أنفة و شذوذاً و عصبية جاهلية، و الذين خرجوا على السلطان عصبية لقبائلهم و ثورة على جور السلطان الحاكم التي تألف منها الصعاليك في المجتمع الأموي وتباين الأسباب التي حملتهم على التصعلك، فقد وحد بينهم الفقر والتشرد والثورة ونزلوا بالصحراء أو المناطق التي لا يمتد إليها نفوذ الدولة، خارجين عن قبائلهم، وثائرين على السلطان، ومتخذين الغزو و الإغارة وسيلة إلى كسب آوادهمومؤمنين بأنهم لا يرتكبون خطأ، بل يحافظون على حياتهم، ويحققون الكرامة لأنفسهم."[1]

إن حركة الصعلكة ظهرت بقوة في العصر الأموي، للأسباب السالفة الذكر، وظل صعاليك هذا العصر يحيون حياة مشابهة لحياة صعاليك الجاهلية، من حيث العيش في الصحراء بعيدًا عن الناس، يغيرون على القوافل، ويقطعون الطرق، في بيئة مترامية الأطراف، وعرة المسالك سهلت عليهم سبل العيش والاختباء بعيدًا عن أعين الـــناس وظلوا منبوذين مطاردين يحيون حياة الأنفة والكبرياء، لا يرون لأحد عليهم فضلاً ولا يدينون لسلطان.

إنها حياة الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ليس لهم إلا التشرد والبعد عن أهلهم ووطنهم، بعيدًا في مجاهل الصحراء، حيث الجبال والأودية، والملاذ الآمن من الأعداء. إنها البيئة العربية هي هي، لم تتغير، وذلك لأن الكثير من القبائل العربية في عهد بني أمية كانت ومازلت محافظة على طابع عيشها، و لم تتغير.

*** الظواهر الفنية في شعر الصعاليك:**

إن الدارس لهذه الطائفة يلفت نظره مجموعة من الظواهر، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. وصف مغامرات الصعاليك وغزواتهم.
2. الحديث عن الرفاق كما في حديث الشنفرى عن تأبط شرًا.
3. التغني بالأخلاق الحميدة ولاسيما الكرم والشجاعة.

[1] حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص61.

4. تصوير آرائهم في الحياة، وموقفهم من المجتمع، فشعرهم صدى للواقع.

5. ليس في شعرهم غزل، وكيف يتغزل من يقضي نهاره يترقب، وليله يترصد ولا يستقر في مقام، كما يكثرون من توجيه خطابتهم في شعرهم إلى زوجاتهم.

كما يتميز شعرهم بمجموعة من الخصائص الفنيـــــــــــــــــــة:

1-ظاهرة المقطوعات: فقد ذاعت المقطوعات في شعرهم أكثر من ذيوع القصيدة ولعل هذا يعود إلى طبيعة حياة الصعاليك، تلك الحياة القلقة السريعة التي لم تتح لهم التفرغ لتطويل القصائد وتجويدها.

2-الوحدة الموضوعية.

3-القصصية: فشعر الصعاليك في مجموعه ينحى منحى الحكاية والقصة، إذ يحكي فيه الشعراء ما كان يدور في حياتهم من مغامرات، وفرار، وتشرد، وتـــربص بأسلوب قصصي حافل بالإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث.

4-الواقعية: ومن ظواهر هذه الواقعية اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لشعرهم، وصدق النقل عن الحياة ومطابقة الصورة للأصل، والصرامة في التصوير، والدقة في التعبير.

5-كثرة الألفاظ الغريبة في شعرهم على نحو يسترعي النظر.

هذا الشعر رغم أنه لأفراد متعددين إلا أنه يشكل متننا واحدًا ومدونة متجانسة جعلت الدارسين يرصدون هذه الملامح الفنية المشتركة بين أشعار هؤلاء الصعاليك.

الفصل الثانـــي

تمهيـــــــد:

الانتماء سمة إنسانية أصيلة أصالة الإنسان نفسه، والحديث عن الانتماء يقتضي منا الحديث عن الهوية سواء ما تعلق بهوية الفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها. فسؤال الهوية هو السؤال الوجودي الأول عن الفرد أو الجماعة: من أنا؟...من نحـــــــــــن.[1]

فالهوية هي الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي من خلالها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميًا لتلك الجماعة.[2]

و الانتماء الذي نحن هنا بصدد التحدث عنه هو علاقة الفرد بمجتمعه القبلي، لأن الفرد يملك مجتمعًا قبليًا لا يستطيع الانفلات منه، فهذه القبيلة هي الوجود المادي الذي يثبت عنصر الإنتماء لدى الفرد فكرًا وشعورًا وسلوكًا إلى أرض أو جماعة ما.

[1] علي حمدان، إشكالية الهوية و الانتماء، ط1، المركز الأسترالي العربي للدراسات السياسية، سيدني، 2005، ص10.
[2] رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، عالم المعرفة للثقافة و الآداب، الكويت، 1997، ص05.

أولاً: مفهوم الانتمـــاء:

1- الانتمـــاء لغـــــة:

لفظة الانتماء مشتقة من الفعل انتمى، فقد جاء في لسان العرب "الفعل انتمى بمعنى انتسب، وانتمى مشتقة من الفعل نمى أي زاد الشيء وارتفع، وفي الحديث ينمي صعدًا أي يرتفع ويزيد صعودًا، وأنميته عزوته ونسبته، وانتمى هو إليه أي انتسب، وفلان ينمي إلى حسب وينتمي ويرتفع إليه".[1]

و جاء في المنجد في اللغة العربية: "انتمى أي انتسب، "انتمى إلى فلان"، ومنتم منتسب، نقول: منتم إلى حزب أو جامعة أو رهبانية، ومنتمي: أرومة، محتد، منشأ: "هو كريم المنتمى"، وانتماء: انضمام وانتساب إلى جماعة، انخراط في جماعة، انتماء إلى حزب".[2]

وورد في المعجم الوسيط: "نمى الحديث نماءً، ونمياً: شاع والماء طما. وانتمى الطائر ونحوه: ارتفع من موضعه إلى موضع آخر، وإلى الجبل صعد، وإلى كذا انتسب".[3]

وجاء في المعجم المفصل: "الانتساب بمعنى الانتماء والاعتزاز إلى القبيلة أو المدرسة أو المذهب أو الوطن".[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نمـــــــــــــى).

[2] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة (نمـــــــــــــا).

[3] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ص956.

[4] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـــ/1999م، ج1، ص135.

وورد في قاموس الهدى: "نما الشيء ينمو نماءً ونمو: زاد وكثر، والحديث أسنده ونقله عن وجه الإصلاح، نمى الحديث ينمي نماءً و نمياً شاع، وفلان إلى فلان نسبه إليه وأنمى الشيء جعله ناميًا، انتمى إلى كذا انتسب".[1]

2- الانتمـــــــــــاء اصطلاحـــــــــــــاً:

لقد تعددت الاستخدامات المرادفة لكلمة انتماء، فتستخدم بمعنى الهوية، وأحياناً مرادفة لكلمة الولاء، وأحياناً أخرى بمعنى الارتباط، ووردت بمعنى التوحد والانسجام.

يعرف أحمد زكي بدوي في كتابه الموسوم "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" الانتماء أنه: "ارتباط الفرد بجماعته؛ حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة".[2]

و يعرف أيضا بأنه: "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى".[3]

فالانتماء بمفهومه البسيط يعني الانسجام والارتباط والإيمان بالمنتمي إليه وبه، إذ يحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان، ووجود الانتماء مرتبط بوجود أناس تجمعهم علاقات، إذ لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الانسجام و الاندماج مع هذه الجماعة، والإنسان يولد منتميًا إلى أسرة منتمية مضافة إلى انتماءاتها العشيرية أو القبلية أو القومية أو الإنسانية جمعاء، وهذا يعني أنه "التقارب والتعدد في إطار الوحدة، فالانتماء وحدة تضم ما لا يقل عن شخصين متقاربين في الصفات المكونة لكل منهما".[4]

---

[1] قاموس الهدى، دار الهدى، المكتبة الوطنية، عين مليلة، الجزائر، مادة (نمـــــــــــــــــــا).

[2] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص16.

[3] نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي للشباب المصرين، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999، ص57.

[4] فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1998، ص24.

ومن ثم نستطيع القول إن حاجة الفرد إلى الانتماء تنبع أساساً من خلال الحاجات الأساسية التي تحكم وجوده الإنساني، فالإنسان باعتباره كائناً بيولوجيًا واجتماعيًا يحتاج دائمًا إلى إقامة علاقات تربطه بمن حوله حتى يحفظ وجوده واستقراره، فالانتماء إذن خاصية نفسية واجتماعية يشعر من خلالها الفرد توحده بالجماعة.

لا بد من الإشارة إلى أننا حين نتحدث عن الانتماء في العصر الجاهلي، لا يمكن أن نطلب من الجاهلي أن يفهم الوطن و الانتماء له كما نفهمه اليوم، بل علينا أن نستوعب ما أراده، فالانتماء عنده – الجاهلي– انتماء للمجتمع القبلي و الأرض أي الماء والكلأ.

ثانيًا: الانتمـــاء في العرف الجاهلي:

يشكل البناء الاجتماعي في عصر ما قبل الإسلام مدخلاً مهمًا في كشف مغزى الشعر الجاهلي الذي أدى دورًا طليعيًا في التعبير عن وقائع الحياة الجاهلية، حيث مثلت القبيلة أفقًا واسعًا في هاته الحياة، وبعدًا أعمق في وجدان الشاعر، باعتبارها الوطن الراحل معه أبدًا الذي يمنعه من الذوبان في عالم الصحراء القاسية، وتؤسس له مبادئ أخلاقية وثقافية ضمن شروط البيئة والتاريخ.

فقد يبدو ومنذ الوهلة الأولى أن الفرد الجاهلي ما كان يعرف ضمن نشاط حياته اليومية أفقًا أوسع من أفق قبيلته و انتماءً أبعد منها، ولكن من يدقق النظر في تكوين العرب الاجتماعي (القبلي) يتلمس وحدة معينة ربطت بينهم من كونهم قبائل متعددة، تجلت في النسب الواحد، والأرض المشتركة، واللغة العربية الموحدة، و كذا في العادات والتقاليد الاجتماعية والشعائر الدينية[1]، وهذا ما عناه الجاحظ في قوله: "كلهم عرب لأنهم استووا في التربة، وفي اللغة، والشمائل و الهمة، وفي الأنفة والحمية، وفي الأخلاق والسجية

[1] ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الشعر الجاهلي: منطلقاته الفكرية وآفاقه الإبداعية، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1430هـ/2010م، ص91.

فسبكوا سبكاً واحداً، وأفرغوا إفراغاً واحداً، وكان القالب واحداً، تشابهت الأجزاء وتنازلت الأخلاط".[1]

إن مفهوم الانتماء عند الجاهلي يعرف بالقراءة الواعية، والتواصل الحميم مع ألفاظ وتراكيب وصلت إلينا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فالإنسان الجاهلي لم يعرف تصنيف الأفكار في كتب مؤلفة ولكنه بث أفكاره ومشاعره في الإبداع الأدبي ولاسيما الشعر، فالتراث الجاهلي يفتقر إلى الصياغة المنطقية والفلسفية لظاهرة الانتماء، ولكن ألسنة الناس، ولاسيما الشعراء تداولت لفظة الانتماء وألفاظًا أخرى تشاركها في جذرها الثلاثي أي (النون، والميـــم والألف).[2]

"نحن نعلم بشكل قاطع أن الفكر الإنساني مهما كان بدائيًا لا يتم بدون قالب لغوي- صوتي لأنه يوجد تلازم لا ينفصم بين الفكر واللغة منذ بداية الأنسنة".[3]

واللغة العربية الجاهلية هي حاملة فكر الجاهليين ومشاعرهم، وهي لغة حيـــة بإمكان العربي المعاصر أن يفهم أكثر ألفاظها وتراكيبها بالعودة إلى المعاجم اللغوية والشروحات اللغوية والأدبية لتراث العصر الجاهلي لفهم الألفاظ المهجورة وذلك بسبب البعد الزمني وتغير أنماط الحياة.

والبحث عن الدلالات العميقة في لفظة الانتماء، وفي الألفاظ التي تشاركها في جذرها الثلاثي سيبرز لنا ضلالات تنطوي تحتها ظاهرة الانتماء في العرف الجاهلي.[4]

---

[1] الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص11.

[2] ينظر: فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ص14.

[3] محمد شحرور، الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، ط5، دار الأهالي، دمشق، ص298.

[4] ينظر : فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص15.

في لفظة الانتماء ثلاثة حروف أصلية هي: النون والميم والألف المنقلبة عن ياء (نمى ينمي)، أو عن واو (نما ينمو)، فمن الأول قول عبيد بن الأبرص:[1]

وَخَيْلٍ كَأَسْــرْابِ الْقِطَا قَدْ وَرَعْتُـــــــها* بِخَيفانَةٍ تُنْمِي بِساقٍ وَعُرْقُــوبِ**

ومن الثاني قول كعب بن مالك:[2]

أَنا ابْنٌ مُبارِي الرِيحَ عَمْرٌو بْنُ عَامِرٍ** نَمَوْتُ إِلَى قَحْطَانَ فِي سَالِفَ الدَهْــرِ**

وهذا يعني أن لفظة الانتماء مؤسسة على جذرين، وأنها ثنائية الأصل "والنظر في جذري الانتماء يوقف على دلالة أصلية في ظاهرة الانتماء، وهي التقارب والتعدد في إطار الوحدة".[3]

يتفق الجذران (نما ونمى) في الوزن (فعل) وفي النون والميم واعتلال الحرف الأخير ويشكلان معا مقطعًا صوتيًا، ولكن الحركة الداخلية لحروف الجذرين تبرز الاختلاف اليسير بينهما "مثلما يظهر الجدل الإنساني الاختلافات بين المنتمين إلى رابطة توحدهم وتشد بعضهم إلى بعض"[4].

ثالثًا: الدلالات المختلفة للفظة الِانتماء في العرف الجاهلي:

1- الزيادة في المنزلـــــة والرفعـــــــة في الشـــــأن:

جاء في "أساس البلاغة: "من المجاز: فلان ينميه حسبه، ونماه جد كريم، قال النابغة:

إِلىَ صَعْبِ المَقَادَةِ مُنْـــــذِرِي ** نَمَاهُ في فُرُوعِ المَجْــدِ نَامِي**

---

[1] عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق و شرح: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1957، ص26.
[2] كعب بن مالك، الديوان، دراسة وتحقيق : سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، 2010، ص 215.
[3] فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص15.
[4] المرجع نفسه، ص16.

فالنابغة هنا يمدح المنذر بن المنذر بن ماء السماء، فجد المنذر هو النامي أي الرافع منزلة المنمي، وذلك لأن المجد يكون في الآباء المتقدمين."[1]

2- النهوض للأمـــــر الشـــــريف:

من ذلك قول طرفة بن العبد يذكر قومه:[2]

نُبَلاَءُ السَّعِي مِـــــنْ جُرْثُومَـــةٍ**** **تَتْرُكُ الدُنْيَا وَتَنْمِـــي لِلْبُعْدِ**

وتنمي للبعد هنا أي تنهض للأمر الشريف البعيد المنال، وذلك لشرفهم ولعلو هممهم.

3- ســـــــــــــرعة الحـــــــــــــركة:

قال عبيد بن الأبرص يصف ظبيًا تلاحقه كلاب الصيد:[3]

إِذَا خَافَ مِنْهُنَ اللَّحَاقَ نَمَتْ بِهِ **** **قَوَائِمُ حَمْشَاتِ الأَسَافِلِ رُوحُ**

فنمت هنا بمعنى أسرعت.

4- الزيـــــادة في القيمـــــة المـــــادية للأشيـــــاء:

قال أبو ذؤيب الهذلي يصف درة يملكها تاجر:[4]

بِكَفِي رِقَاحِي، يُحِبُ نَمَـــاءُهَا **** **فَيُبْرِزُهَا لِلْبَيْعِ فَهِيَ فَرِيـــجُ**

5- الانتشـــــــــــــار في المكـــــــــــان:

---

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ج2، ص306، و جاء في ديوان النابغة: **إلى صعب المقادة ذي شريس ** نماه في فروع المجد نام.**

[2] طرفة بن العبد، الديوان، اعتنى به: حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص 40.

[3] عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق وشرح : حسين نصار، ص32.

[4] ديوان الهذليين، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، القاهرة، 1995م، ص 56.

قال المسيح بن عسلة الشيباني يصف الخمرة:[1]

وَ تُبَــينُ الرَأْيَ السَفِينَة إِذَا ** جَعَلَتْ رِيَاحَ شُمُـــولِهَا تَنْمِــي.**

فالخمر يظهر أثرها في العقول عندما ينتشر (ينمي) روحها و يصعد، فتنطق الألسنة بما لا يستحب، وبما لا يكون في الصحو.

6- حمل الشيء على الشيء لتقريبه وتقديمـــــــــه:

قال النابغة الذبياني:[2]

كُنْ مُشَعْشَعًا مِنْ خَمْر بَصَـــرِي** نَمَتْهُ البَخْتُ مَشْدُودَ الخِيَـــامِ**

نَمَيْنَ قِلاَلَــهُ مــنْ بَـــيْـتَ رَأْسٍ ** إِلَى لُقْمَانَ فِــي سُوق مَقَــدَمِ**

نمته: أي حملته و رفعته، وأن نمين تعني: رفعن، والرفع هنا يعني التقريب والتقديم كما يعني اليسر المرفوع، جاء في اللسان: رفعه إلى الحكم أي قربه منه وقدمه إليه.[3]

إن هذه المعاني المذكورة تدل أن الجاهلي عبّر بالانتماء عن وجود الإنسان المنتمي إلى الأسرة الأبوية (نماه جد كريم)، وعن الإرادة المتطلعة إلى التطور (نما حسبه)، وعن رؤيته المتقدمة لمفهوم ظاهرة الانتماء، فالزيادة في المنزلة والرفعة في الشأن والنهوض للأمر الشريف معاني تمنح صاحبها شعورًا بالطمأنينة والتوالد والحركة والانتشـــار

[1] المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة، ص279.

[2] النابغة الذبياني، الديوان، اعتنى به: حمدو طماس، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص160.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نمـــــــــــى).

وإضافة الشيء للشيء، كلها معاني لازمة لظاهرة الانتماء بصفتها ظاهرة متطورة بالجدل الإنساني.[1]

أما لفظة الانتماء مصدرًا (انتمى ينتمي)، وهي بيت القصيد في هذا البحث، إذ تحمل المعاني الأصيلة في ظاهرة الانتماء، وقد وقفنا آنفًا على دلالتين هما: الارتفاع بالانتساب إلى الأجداد والأمجاد وتقريب الشيء إلى الشيء، ويضاف إليهما عدة معاني منها:

1- الإبعاد في المرعى:

وذلك في قول الطفيل الغنوي:[2]

أَرَى إِبِلِي عَافَتْ جَدُودَ فَلَمْ تَذُقْ ** بِهَـــا قَطْرَةٌ إِلاَّ تَحِلَةٌ مُقَسَـمِ**

وَبُنْيَانَ لَمْ تُورَدْ، وَقَدْ تَمَ ظِمؤُهَا ** تَرَاحُ إِلَـــى جَوِّ الْحِيَاضِ وَتَنْتَـمِـي**

وهو دليل على الثقة بالنفس في المجتمع الجاهلي، فالأقوياء هم من يبعدون في المرعى ولا يخافون الغزو ولا استلاب العدو لأموالهم وإبلهم.

2- الهمـــــــة العاليـــــــــة:

في قول الخنساء ترثي أخاه صخرًا:[3]

فَنَالَ التِّـي فَـــوْقَ أَيْدِيـهِمْ ** مِنَ المَجْـدِ ثُمَ اِنْتَمَـــى مُصْعِـــدَا**

---

[1] ينظر: فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص20.

[2] الطفيل الغنوي، الديوان، شرح الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط1، دار صادر، بيروت، لبنـــــــان، 1997م، ص105.

[3] الخنساء، الديوان، شرح معانيه ومفرداته: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص31.

انتمى مصعدا بمعنى: عاليا للأمور، ولا يكون ذلك إلاَّ بكثرة الأفعال المجيدة والشريفة التي لا تكاد تتحقق في المجتمع القبلي إلا في ظل الانتساب (الانتماء) إلى أجداد أماجد.

3- الارتفـــــــــــاع من مكان إلى مكان آخـــــــــــــر:

يقول أبو ذؤيب الهذلـــــــــي:[1]

تَنْمَى بِهَا اليَعْسُوبُ حَتَى أَقَرَهَـــــــا ** إِلَى مَأْلَفٍ رَحِبِ المَبَاءَةَ عَاسِـلِ**

فاليعسوب ترفع بالنحل حتى تنزل بها إلى مكان تألفه، رحبًا صالحًا لجني العسل.

و لكن الانتماء ليس ارتفاعًا عاليًا بالضرورة، فقد يكون يسيرًا، كقولنا: انتمى فلان فوق الوسادة[2]، ومنه قول النابغة الجعدي:[3]

إِذَا اِنْتَمَيْنَا فَوْقَ الفِرَاشِ عَلاَهُمَا ** تَفُوحُ رَيَارِيح مِسْـــكٍ وَ عَنْبـــــَرِ**

"إن الانتماء فوق الوسادة أو الفراش يوحي بنقيض الارتفاع، أي النزول واجتماع الضدين: الارتفاع و النزول من مكان إلى مكان في لفظة (الانتماء) ينسجم مع خصائص ظاهرة الانتماء، فالانتماء يمنح الفرد المنتمي منزلة عالية أو يسيرة، بل قد يكون سببًا في ضعة منزلة المنتمي"[4]، واجتماع هذين الضدين (الارتفاع والنزول)، في لحظة الانتماء يوجه الأبصار نحو معنيين آخرين يشكلان الجانب السلبي في معانيها وهما:

---

[1] أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، ج1، ص143.

[2] ينظر : فاروق سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص23.

[3] النابغة الجعدي، الديوان، جمع وتقديم: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1964، ص219.

[4] ينظر: فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ، ص23.

*** الانكســـــــــــــــار:**

هذا المعنى هو ضد الارتفاع، فالإنسان قد ينتمي بالأمور عاليًا مفصحًا عن همة متوثبة أو ينتمي بها متطامنًا، وقد انكسرت حدته[1]، وهذا المعنى الأخير نلحظه في قول الأعشى يتهدد يزيد بن مهر الشيباني:[2]

أَيَا ثَابِتْ أَوَ تَنْتَمُونَ فَإِنَمَا ** يَهِيـــمُ لِعَيْنَيْهِ مـــنْ الشَرِّ هَـــائِمُ**

فـــ (أَوَ ينتمـــــــــــــــــــون) هنا تعني اكسروا من حدتكم.

*** تبليغ الحديث على وجه الإساءة:**

قال بشر بن عليق الطائي يهجو بني عاملـــة:[3]

أَعَامِلُ مَا بَالَ الخَنَا تَقْذِفُونَـــهُ ** مِنَ الغُـــورِ مُسْدِي بِالْقَـــوَافِي وَمُلْحَمَا**

بَنِي الرّقَـــاعَ مَالِقَوْ لِكَ يَنْتَمِـــي ** وكُنْتُ أَحَـــقَ النَـــاسَ أَلاَّ تَكَلَمَـــا**

فينتمي هنا لا يقصد بها تبليغ القول فقط، بل تبليغ القول المسيء، "وهذا لم تثبته المعاجم، بل أثبتت (نمَّيْتُ الحديث): بلغته على وجه النميمة والإفساد"[4]، وضد ذلك ما جاء في "أســـــــــاس البلاغـــــــــــــة"، نميت الحديث على وجه الإصلاح.[5]

إن المعاني الإيجابية و السلبية في لفظة الانتماء- وكذلك في الألفاظ التي تلتقي معها في الاشتقاق- أمر عرفه الجاهلي بدليل استخدامه لهذه اللفظة بما تحمله من معان متعددة ومختلفة، وهذا الاستخدام يدل على دقة استخدام هذه اللفظة (الانتماء) في التعبير عنها بوصفها ظاهرة، "فالانتماء في إدراك الجاهلي ليس خيرًا مطلقًا، وليس شرًا مطلقًا

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[2] الأعشى، الديوان، ط3، دار صادر، 1424هـ/2003م، ص 179.

[3] يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م، ص188.

[4] فاروق أحد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص23.

[5] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ص306.

أيضًـــا ولكنه ظاهرة يجتمع فيها الخير والشر، ولكن كثرة استخدام المعاني الإيجابية ترجح غلبة جانب الخير على الشر في ظاهرة الانتماء".[1]

إن لفظة (الانتماء) و الألفاظ التي تلتقي معها في جذرها الثلاثي تظهر إدراك الجاهلي بأن الأصل في الانتماء هو الزيادة والكثرة الماديتان، ولكن الجاهلي طور ذلك الأصل اللغوي إلى ظاهرة توحي بمعان إنسانية تؤكد استمرارية هذه الظاهرة، وترفع شأن الإنسان بصفته منتميًا إلى رابطة قلبية إنسانية، كما تطورت إلى معنى زيادة الانتساب إلى الآباء والأمجاد والاعتزاز بهم، إضافة إلى الفخر بالهمم العالية والأعمال الشريفة التي تمجد الإنسان، وظهر إلى جانب هذا معانٍ ضدية بين إيجابية و سلبية؛ بين الارتفاع والانكـــسار وبين علّو المنزلة ودنوها ووِضعتها.

يعد الانتماء في العصر الجاهلي ظاهرة فطرية ويبدو أن التصاق الجاهلي بقبيلته عاش معه منذ أن رأت عيناه النور، حملته بين جوانحه بما فيه من ذكريات وحب للقوم والأهل والخلان...، فكان القلق يلف كيانه و يسيطر على نفسيته من وهم الاغتراب عنه وهجره.[2]

وقد عرف العربي ضروبًا من الانتماء تمثلت بمظاهر متعددة، وصور مختلفة، فهو حس مرتبط بالقبيلة (المجتمع) والأرض (الوطـــــــن) و تتصل بها موارد المياه والمقدسات (الوحدة الدينية الجامعة للقبائل)...إلخ، يتفاعل معها جميعًا ويتوقف إليها في حلّه وتـــرحاله ولا ننتظر من الجاهلي أولاً و من الشاعر الجاهلي ثانيًا أن يقول لنا: إنه منتم؛ فهو بالضرورة منتم إلى قبيلة يشيد بها أرومتها وأمجادها، يدافع عنها بالسيف

[1] فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص24.

[2] ينظر: حسين جمعة، (ظاهرة الانتماء في القصيدة الجاهلية)، مجلة التراث العربي، العدد44، محرم 1412هـــ، تموز"يوليو" 1991م، ص35.

واللسان، ومنتم إلى أرض ولد فيها وترعرع فوق ثراها، وهو منتم إلى كل شيء مقدس في أعرافه.[1]

رابعًا: النظـــــام القبلـــــــي ضرورة بيئيـــــــــــــــــة:

يعد الانتماء القبلي الركيزة الأساسية في الحياة القبلية، وكانت العصبية القبلية مظهرًا لهذا الانتماء، وهي التي تستند بدورها إلى الدم، ووحدة القبيلة في المصير والغايـــة واستطاعت العصبية أن تخلق مركزية لها في الوجدان الجاهلي، وتجلى ذلك في الشعر، كما اتخذت لها مسارًا آخر تمثل في الوعي العصبي، ليشكل مضموناً أخلاقيًا وإنسانيًا سعى إلى إيجاد التوازن التاريخي بين القوة ومعاييرها، والحقيقة وثقافتها، وجسم لنا الوعي العصبي نزعة إنسانية وأخلاقية جوهرية في الحياة الجاهلية التي تكاد تغطيها صور الحرب والصراعات. وكان للتحدي البيئي والتاريخي دور حاسم في خيار الجاهليين على مستوى البناء الاجتماعي، حيث معطيات القحط والجدب وندرة الأمطار، جعلته يتخذ صورة واحدة تقوم على النظام القبلي، فالرابطة القبلية هي الهوية والإستراتيجية التي ستأخذ الدور الحاسم في تشكيل الوعي العربي في العصر الجاهلي، وتجسمت هذه الرابطة العصبية التي تعد قِوام الحياة القبلية، في وحدة القبيلة باعتبارها كلاً سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وهي المرجعية والشرعية الأخلاقية، إذ الخير والحق، هو حق القبيلة وخيرها.[2]

فالقبيلة مجموعة من الناس تؤمن بوجود رابطة تجمعهم تقوم على أساسين هما: وحدة الدم المتمثلة في انتمائهم لأب واحد، ووحدة الجماعة. وهذه المجموعة تعمل في اتجاه واحد هو مصلحة القبيلة المشتركة.

---

[1] ينظر : حسين جمعة، (الانتماء وظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية)، مجلة التراث العربي، العدد63، ذو القعدة 1416هـ، نيسان"أبريل" 1996م، ص82.

[2] ينظر: علي مصطفى عشا، (جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3، المجلد83، ص ص1- 3.

وهذه البنية الاجتماعية (القبيلة) لم تنشأ من فراغ، وإنما صنعتها البيئة الصحراوية التي لا تتسع للمجتمعات الكبيرة، بل تتخذ وحدات اجتماعية تناسب إمكانات البيئة، وهذه التنظيمات ينبغي أن تكون قادرة على التماسك والحركة في آنٍ معًا. ومن هنا كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع الجاهلي وهي وحدة سياسية، وقد تدعو الظروف الطبيعية مثل الجفاف أو الظروف البشرية الاستثنائية كالحرب إلى تكوين تحالفات أكبر، وقد تتجزأ القبيلة ذاتها، لكن الجزيرة العربية ظلت محافظة على هذه الوحدات القبلية.[1]

وهكذا نجد للقبيلة مظهرًا اجتماعيًا وآخر سياسيًا ويمثل هذا الأخير بشكل أوضح "عندما يدق ناقوس الحرب في القبيلة، عند لك تظهر وحدة القبيلة و يَهُبُ كل فرد فيها مدافعًا عن حماها...."[2].

فإذن هي وحدة سياسية قائمة بذاتها في العصر الجاهلي، كما أنها وحدة اجتماعية أيضًا لها نظمها وأعرافها وتقاليدها.

خامسًا: الانتمـــــــــــاء القبلـــــــــــــــــي:

يرى حسين جمعة أن الانتماء ظاهرة اجتماعية وفكرية ثم فنية تأصلت لدى الجاهلي في وجوه كثيرة، وهي حس مرتبط بالقبيلة جعل الإنسان الجاهلي- في ذاته الفردية- جزءا منصهراً في كيان أكبر يقال له الذات الاجتماعية، وتنتهي حريته عند حدود مصالحها ووجودها. وبهذا الوعي يصبح المجموع لدى الشاعر المنتمي مساويًا للذات، لذا كان ملزمًا بالدفاع عن قبيلته وقيّمها، وهو لزام أدبي وطوعي، ويحقق الشاعر الجاهلي ذاته وطموحه عبر هذا الانتماء، لأنه غدا اللسان المعبر عن حال قبيلته

[1] ينظر : عبد العزيز الدوري، التوين التاريخي للأمة العربية، ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985م، ص21.

[2] عبد الرحمن عفيف، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص18.

وتطلعاتها، ولما كانت هذه الرسالة طوعية كان لا بد من أن يؤصل القيّم في أفرادها، ليعمق ارتباطهم بها.[1]

لقد ارتبط الانتماء لدى العربي بصور متعددة تجلت بوضوح من خلال شعره، فمن أبرزها تعلق العربي بكينونة مجتمعه على الأرض (ممثلاً بالقبيلة)، فالنظام القبلي جزء قوي في علاقة الانتماء للعربي مهما يعلو الفرد، يقول دريد بن الصّمة:[2]

وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ غَزِيَةَ إِنْ غَوَتَ** **غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدَ غَزِيَةَ أَرْشُـدَ؟**

أو مهما يدنو، يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:[3]

إِذَا بَلَـغَ الفِطَامُ لَنَـا صَبَـيٌّ** **تَخِرُ لَـهُ الجَبَابِرَ سَاجِدِينَـا**

ومن مظاهر هذا الانتماء، تعلق العربي بناقته وخيله، فقد منح الناقة القدرة على الشوق للوطن والتلهف لرؤية جباله وترابه، قال المثقب العبدي مظهرًا حزن ناقته على مفارقتها وطنها:[4]

إِذَا مَـا قُمْتُ أَرْحِلُـهَا بِلَـيْلٍ** **تَأَوَهُ آهَـةَ الرَجُـلِ الحَزِيـنِ**

تَقُولُ إِذَا دَارَتْ لَـهَا وَضَنِي ** **أَهَذَا دِينُهُ أَبَـدًا وَ دِينِـي**

ويصور طفيل الغنوي اشتياق الخيل إلى أوطانها، وحنينها إلى وديانها وجبالها وهي تقذف سيرها بلهفة المشتاق، قال:[5]

وَكُمْتَا مُدَمَّاة كَأَنَ مُتُونَهَا ** **جَرَى فَوْقُهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُـذْهَبِ**

---

[1] ينظر: حسين جمعة، (الانتماء وظاهر القيم العربية في القصيدة الجاهلية)، مجلة التراث العربي، العدد63، ذو القعدة 1416هـ، نيسان "أبريل" 1996م، ص ص81- 85.

[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، ص 468.

[3] عمرو بن كلثوم، الديوان، جمع وشرح وتحقيق : إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، 1416هـ/1996م، ص91.

[4] الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص ص1262 ، 1263.

[5] طفيل الغنوي، الديوان، شرح: الأصمعي، تحقيق، حسان فلاح أوغلي، ص ص32، 33.

نَزَائِعَ مَقْذُوفًا عَلَى سَرَوَاتِـــهَا ** بِمَا لَـمْ تُخَالِسْـــهَا الغُزَاةُ وَتُسْتَهَـبِ**

وكان للمقدمات الطللية كذلك ظاهرة أصيلة في صور الانتماء، وهي صورة توحي بالإخلاص للتراب الذي امتزج بذكريات أصحابه، وتعد جزءاً من التمسك بالأرض، دون أن يفكر أن انتماءه قد ينفصل عن مجتمعه وآماله، فهو يدرك أنه منتم لكل ذرة من تراب أطلاله[1]، يقول **زهير بن أبي سلمى:**[2]

عَفَا مِـــنْ آلِ فَاطِمَةَ الجِـــوَاءُ ** فَيمْـنٌ، فَالْقَوَادِمُ، فالحِسَـاءُ**

قَدُوهَاشِ، فَمِيـــتَ عُرَيْتِنَاتٍ ** عفَتْها الرِّيحُ بَعْدَكَ، والسَّمَـاءُ**

فَذِرْوَةٌ فَالجِنابُ كأنَّ خُنْسَ النِّـــ ** عـــاجِ الطاوِياتِ، بِها، المُـــلاءُ**

يَشْمِنَ بُرُوقُهُ، ويَرُشُّ أَرْيَ الـ ** جَنـــوبِ، على حَواجِبِها، العَمَـاءُ**

إن أكثر ما يطيح بالعربي ويضره الهوان الذي يلقاه، وهو بعيد عن وطنه يقول عمرو بن هبيرة:[3]

ومَنْ تَكُ في غَيْرِ العَشيرَةِ دارُهُ ** يُغْضَبْ فَتَبْرُدَ غيرَ مُرْضى مَغاضِبُهُ**

ويُنْكَرْ عَلَيْـــهِ إِنْ أَرابَ بِخُطَةٍ** ولا يستَطيعُ تَنْكيرَ ما هوَ رَائبُـــهُ.**

فهذا يوحي بأن القبيلة تمثل للعربي مجتمعه و أرضه في آن معًا، دون أن تفصل أرضه حدود مصطنعة، وأرضه هي أرض يجد فيها قومه يشاركونه وحدة الانتماء. فهذا يظهر لنا أكثر أن ما يخيف العربي أن يصبح بعيدًا عن وطنه، شاعرًا بغربة الانتماء، يقول الأعشى:[4]

سَأُوصِي بَصيرًا إذا دَنَوْتُ مِنَ البِلى ** وَصاةَ اِمْرِئٍ قاسَى الأُمورَ فَجَرَّبَا**

---

[1] ينظر: حسين جمعة، (ظاهرة الانتماء في القصيدة الجاهلية)، ص39.

[2] زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح وتقديم: علي فاعور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص ص13، 14.

[3] البحتري، الحماسة، تحقيق: محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، ط1، هيئة أبو ظي للثقافة والتراث ـــــــــ المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1428هـ/2007م، ص ص225، 226.

[4] الأعشى، الديوان، ص ص7، 8.

بِأنْ لا تَبْغِ الودَّ مـــــن مُتَباعـــدٍ ** ولا تَنْـــأَ عَن ذي بَغْضَةٍ إنْ تَقَرَّبـــــا**

مْن يَغْتَرِبُ عن قَوْمِهِ لا يَجِدُ لـــــهُ ** على مَنْ لهُ رَهْطٌ حَواليهِ مُغْضِـــبَا**

وليْسَ مُجيرًا إنْ أَتى الحَيَّ خائــفٌ ** ولا قائلاً إلاَّ هُــوَ المُتَعَـــــيِّبَـــــا**

لقد كانت القصيدة الجاهلية المظهر والبناء والمضمون الذي رسم لنا الشكل الأمثل لعلاقة الانتماء كظاهرة تفرد بها العربي منذ وجوده.

مما سبق نخلص إلى القول إن الانتماء القبلي وتجلياته في الشعر الجاهلي، وتحليل البناء الاجتماعي الجاهلي يقوم أساسًا على القبيلة وتوحدها في المصير والغاية، ومثلت القبيلة خيارًا طوعيًا حقيقيًا لدى العربي قبل الإسلام، في ظل مناخ الجدب والقحط، حيث توفر هذه الوحدة أي القبيلة الحماية لأفرادها على التكتل والتلاحم في ظل بيئة صحراوية قاسية.

إن الحديث عن الانتماء القبلي ومظاهره في الشعر الجاهلي يستنفذ المجلدات، لكن هذا لا يعنينا فهو ليس محل دراستنا، وإن ما يعنينا هنا هو الانتماء عند عروة بن الورد ومظاهره من خلال شعره.

سادسًا: مظاهر الانتماء في شعر عروة بن الورد:

لم يعش عروة صعلوكًا دائمًا، بل عاش فارسًا متصعلكًا، فحياته سارت على وتيرتين: وتيرة الحياة العادية، ووتيرة الصعلكة.

ففي حياته العادية كان يعيش مع أهله، حياة عائلية فيها الزوجة والولد وفيها الكرم والعطاء وفتح الباب للضيف وطالب القرى، يتخللها عتاب الزوجة ولومها؛ لأن الإنفاق يؤدي إلى الرحلة في طلب الغنـــــــــــى.

وفي هذا النمط من حياته كان عروة يقوم بواجبه نحو قبيلته: يدفع عنها الألسن الطويلة، يفخر باسمها على أعدائها ويحارب إلى جانب فرسانها، وكان مغرمًا بتقديم الخدمات واكتساب الصيت الحسن وتحمل الديات والقيام بواجب المعروف، إنها الرغبة في أن يكون الفرع عضوًا نافعًا في الجماعة، وهذه الرغبة لها مبرر طبيعي عند عروة

الذي كان يحس انتقاصًا في احترامه بسبب نسب والدته وشؤم أبيه على قبيلته عبس، وهي الحجة في أن عروة لم يعش صعلوكًا، بل عاش فارسًا متصعلكًا. ومن مظاهر هذا الانتماء:

1- الدفاع عن القبيلـــــــــــــــــة:

خلافًا لما ذهب إليه بعض الباحثين حول شعر الصعاليك الذي يخدم أغراض القبيلة وحدوده بالفترة التي تسبق صعلكتهم، نعتقد أن هذا النوع من الشعر عند عروة بالذات كان مرافقًا لحياته كلها، فعروة لم يثر على قبيلته ولم يقطع صلته بها نهائيًا، وسخر شعره لخدمة أغراض القبيلة، شأنه في ذلك شأن أي شاعر آخر لا صعلوكًا، ولنا على ذلك أدلة من ديوانه:

فبين عروة وأقوام من عبس تقوم علاقات، كأي علاقات بين فرع من القبيلة وآخر: علاقات تعاون أو صراع، وهذه الأنماط من العلاقات لا يمكن أن تنشأ إلا نتيجة للمعايشة والمجاورة.[1]

يذكر عروة بني ناشب وبني عوذ بن زيد، وهم أقوام من عبس، فيتهمهم بالتخاذل والتهرب من حمل المسؤولية الجماعية، ويلوم بني عوذ على ترك سفهائهم يتناولونه بألسنة السوء ويدعوهم إلى ردهم عنه أو يكون للحرب الكلمة الفصل، وبنتيجتها تعلم عبس من هو الشريف الموفور الكرامة[2]، يقـــــــــــــــول:[3]

أيَّـــــا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِغْنَّ ** بَني ناشِبٍ عَني ومَــنْ يَتَنَشَــبُ***

يريد عروة هنا إيصال رسالة إلى بني ناشب أجمعين، الأصيل منهم والمنتسب ، وهو يكلف نقل رسالة أي راكب، والراكب هنا لا يقصد به شخصًا بعينه، وإنما هي صيغة يستحضر بها الشاعر الجاهلي عادة أشخاصًا من خياله، ومضمون الرسالة هو:[4]

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص51.

[2] ينظر: المصدر السابق، ص81.

[3] عروة بن الورد، الديوان، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 45.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

أكُلُكُمْ مُخْتارُ دارٍ يَحِلُّــها ** وتارِكُ هَدْمٍ ليسَ عَلَيها مــذَنَّبِ؟*.**

يأخذ عروة على بني ناشب تخاذلهم عن نصرة قومهم وتهربهم من تحمل الذنوب الجماعية، فهم ينسلخون عن القبيلة الواحد تلو الآخر، كل منهم يختار منزلاً بعيداً يحل بـــه وتجدر الإشارة إلى أن الذنب في عالم الجاهلية لا يتحمله صاحب الجريرة، بل تحمله جماعة بأسرها، وأن بعض الذنوب موروثة وتشكل عداوة تقليدية بين قبيلة وأخرى.[1]

ويكمل عروة تبليغ رسالته فيقول:[2]

وأَبْلِغْ بَني عَوْذٍ بَنُ زَيْدٍ رِسالَــةً ** بِآيَةِ ما إنْ يَقْصِبونِي يَكْذِبــــوا***

فإنْ شِئْتُمْ عَني نَهَيْتُمْ سَفيهَكُــمْ ** وقال لَهُ ذو حِلْمِكُمْ: أينَ تَذْهَــــبُ*؟**

وإنْ شئتمُ حارَبْتُمونِي إلى مدى ** فَيُجْهِدَكُمْ شَأْوُ الكظاظِ المُغَــرَّبِ***

فَيَلْحَقُ بالخَيْراتِ منْ كانَ أَهْلَــــها ** وتَعْلَمُ عَبْسٌ: رَأْسَ مــنْ يَتَصَوَّبِ***

يوجه عروة رسالة أخرى إلى بني عوذ بن زيد الذين يفترون عليه الأكاذيب ليعيبوه ويشتموه، وموقف بني عوذ غامض، فهم لا يناصبون له العداء مباشرة، ولا يقفون إلى جانبه برد سفهائهم عنه، وعروة لا يحتمل هذا الموقف، فيريد أن يضع بني عوذ أمام خيارين: إما أن يعرفوا قدره وكذب ما يذهب إليه السفهاء منهم فينبري ذو الحلم لهم ينهوهم عن الإساءة إليه، ويسألهم: إلى ما يهدفون؟.

فإن لم يلتزموا بالخيار الأول تكون نهايتهم قد انكشفت، ويغدو موقف السفهاء موقف الجماعة بأسرها، حينها يكون الخيار الثاني محتومًا، وهذا الخيار هو الحرب، إذا قامت بينه بينهم ستكون طويلة المدى، ومعها سيعرف بني عوذ مشقة تفوق ما يستطيعون تحمــله وسيعانون منها الضيق والشدة، ثم يعرض عروة تصوره نهاية الصراع إذا نشبت

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص82.

[2] عروة بن الورد، الديوان، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص45.

*يتنشب: انتسب إلى بني ناشب، *بني ناشب: قبيلة من عبس، *هدم: الدم المهدور، *يقصبوني: يشتموني، *بنو عوذ بن زيد: بطن من عبس، *السفيه: الجاهل، *الحلم: العقل، *الشأو: الغاية، *الكظاظ: الشدة والتعب، *المغرب: البعيد، *يتصوب: ينكس وهو الانحدار.

بينه وبينهم الحرب، سيثبت ذو الشرف وصاحب الحق الذي اعتاد المكارم فيرفع رأسه بفخر، وسيخسر الكاذب المفتري (ويقصد بني عوذ) فينكس رأسه بذلة.[1]

إن تسجيل عروة مآثر قومه، ونيله من أعدائه بشعره، جعلاه شاعر القبيلة، كما جعلته أفعاله التي يذكرها، وهاتان الصفتان إن لم تلازماه بصورة دائمة، معروفتان له وتزداد قيمتهما إذا برزتا والحاجة ماسة إليهما. إن عروة يتحدث عن يوم **التخانق** (أو يوم الرقـــم) وهو يوم لغطفان على بني عامر[2]، بضمير (النحن)، وهذا يسجل انتماءه اختيارًا وطوعـــا لا إلى عبس وحدها بل إلى غطفان بصورة أشمل.

غزت بنو عامر يوم شعر، وهم يريدون أن يصيبوا شيئًا ويدركوا بثأرهم في شعـــر وكان أول من لقوا يومئذ بني عبس، فانكشفوا وأصيب أناس منهم من بني جعفر خاصـــة فزعموا أن الحكم بن الطفيل أدركه العطش فخشي أن يؤخذ فخنق نفسه تحت شجرة حتى مات[3]، فقال عروة : [4]

ونَحْنُ صَبَحْنَا عامِرًا إذا تَمَرسَتْ ** عُلالَةَ أرْماحٍ وضَرْبًا مُذَكَّـــــرَا***

بكلِّ رُقاق الشَّفْرَتَيـــــنِ مُهَنَّـــــدٍ ** ولَدْنٍ من الخَطِيِّ قدْ طُرَّ أسْمَـــــرَا***

لقد استعمل عروة هنا ضمير (النحن) بدل (الأنا)، وهذا دليل على انتمائه وعلى ذوبان شخصيته الفردية في الشخصية الجماعية، وطغيان الروح الجماعية على الفرد.

يتابع عروة قوله:[5]

عَجِبْتُ لَهُمْ إذْ يَخْنِقونَ نُفوسَهُمْ ** ومَقْتَلُهُمْ تحتَ الوَغى كانَ أَعْذَرَا***

يَشُدُّ الحَليمُ مِنْهُم عَقْدَ حَبْلِـــــهِ ** ألا إنَّما يَأْتي الذِّي كانَ حُـــذِّرَا***

يشير عروة هنا إلى حادثة بن الطفيل الذي خنق نفسه، بدل من أن يموت في القتال لأن الموت بسيوف العبسيين ورماحهم أمر معروف سمع به بنو عامر وحذروا منه، لذلك

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، تقديم وشرح،: سعدي ضناوي، ص ص83- 85.

[2] محمد أحمد جاد المولي بك آخرون، أيام العرب في الجاهلية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص278.

[3] المرجع نفسه، ص 169.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص74.

[5] المصدر السابق، ص 74.

أضاعوا صوابهم يوم اللقاء لشدة اضطرابهم، فكان الحليم منهم يشد الحبل حول عنقه ليقتل نفسه، حذر الموت بسيوف عبس، والموت هو موت بسبب العبسيين في الحالين.[1]

لكل قبيلة فرسانها الذين يدافعون عنها، ويقودونها للغزو والغنيمة ويقفون بالمرصاد لكل متربص بهم، وتفخر القبيلة بهم ويتغنى الشعراء ببطولاتهم، وبمحصول قوتهم البدنية تستطيع القبيلة شن الغارات وخوض المعارك وتحقيق النصر، والعودة بالأنعام والأسلاب.[2]

وكان عروة بن الورد أحد هؤلاء الفرسان الشجعان وفارسًا من فرسان عبس المقدمين، وله في ذلك مقطوعات شعرية للفخر ببطولاته، فهو يتمتع ببطولة نادرة تدفعه إلى الإقدام حين يتراجع الآخرين مدافعًا بذلك عن قبيلته كل الدفاع رادًا عليها الأعداء، فقومه يستنجدون به يوم الحرب، فهو يتميز بالنجدة يلبي نداء قومه حين يستنجدون به فيغدوا موئلاً لهم وملاذًا، ولكن هذا النمط من الحياة يعرض صاحبه للمخاطر، فالحروب لها جرائر، وعروة يعرف ذلك ويقبله، فلا من ذيول الحرب يشتكي، ولا من مصائب الدهر يخاف، يقول:[3]

أتَجْعَلُ إقْدامِي إذا الخَيْـــلُ أَحْجَمَتْ ** وكَرِّي إذا لَمْ يَمْنَعْ الدُّبْرَ مــانِعُ***

فهو يقدم حين يخاف الآخرون الإقدام ويتهيبون، وهو يهاجم حين يتخاذل القوم وينهزمون وظهورهم منكشفة للأعداء، ويتابع فيقول:[4]

سَواءً ومن لا يُقَدِمُ المُهْرَ في الوَغى ** ومن دُبْرُهُ عِنْدَ الهَزاهِزِ ضائـــــعُ؟**

إذا قيلَ يا ابْنَ الوردِ أَقْبِلْ إلى الوَغى ** أجَبَتْ فَلاقانِي كَمِيٌّ مُقَـــارِعُ***

بِكَفِي من المَأْثورِ كالمــلْحِ لَوْنُــهُ ** حَديثُ بإخْلاصِ الذُّكورَةِ قاطِــعُ***

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي الضناوي، ص167.

[2] ينظر : عبد الرحمن عفيف، الشعر وأيام العرب، ص24.

* تمرست: تعرضت بالشر، *رمح لدن: لين المهزة،* أعذر: أدعى للغلبة، *الحليم: العاقل.

[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص81.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

* أحجمت: نكصت، *الدبر: الظهر، *كرّي: هجومي، *يقدم: يكرّ.

فَاَتْرُكُهُ فـــي القاعِ رَهْـنـــًا بِـــبَلْدَةٍ ** تَعاوَرُهُ فيها الضِّبــاعُ الخَوامعُ***

مُحالِفَ قاعٍ كان عَنْــهُ بِـــمَعْزَلٍ ** ولكن حِينَ المرْءُ لابُدَ واقـــعُ***

فَلا أنا مِما جَــرَت الحرْبُ مُشْتَـــــكٍ ** ولا أنا مِمــا أحْدَثَ الدَّهرُ جازِعُ***

إن شجاعة عروة تتجاوز حاجته لتصبح مطلبًا قبلياً، فقومه يستنجدون به حين تعنف المعركة، وهو يلبي النداء فينزل إلى الساحة، لا ليقاتل كالآخرين بل ليتصدى للفارس المقدام، وهو يعرف الحرب ولا يشتكي مما يمكن أن تجره من ويلات، والدهر مليء بالحوادث المفاجئة المنكرة، فلذلك يواجهها ويصبر عليها.

ومن مظاهر الدفاع عن القبيلة الأخذ بالثأر، ويبدو وأن مبدأ الأخذ بالثأر كأنه قام في عالم الجاهلية مقام القوانين العامة، فالقوانين العامة تعاقب المذنب وتقتص منه، فيهابها الناس ويبتعدون عن إحداث الأذى للآخرين.[1]

فحين قتلت طيء عنترة بن شداد، قال عامر بن الطفيل: "لا ترك الله لطيء أنفًا إلا جدعه: أما علينا فليوث، وأما على جيرتهم فلا شيء، وقد قتلوا فارس العرب".[2]

ثم غزت عبس طيئًا فسبوا نساء خارجات من الجبل. فتبعتهم طيء وقاتلهم العبسيون حتى ردوهم إلى جبلهم، وجاءوا بالنساء إلى بني عبس[3]، وفي ذلك يقول عروة مطمئنًا قوم ابن الطفيل ومحرضًا ببني طيء:[4]

أَبْلِغْ لَدَيْكَ عامـــِـــرًا إنْ لَقَيْتَـــــها ** فَقد بَلغتْ دارَ الحِفاظِ قَرارَهـــــا***

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص11.

* مقارع: مضارب بالسيف، *حديث: مصقول، *تعاور: تتداول، *الحين: الهلاك، *جازع: مشفق.

[2] المصدر السابق، ص169.

[3] المصدر نفسه، ص170.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: أسماء أبو بكر محمد، ص76.

يحاول عروة هنا تبليغ رسالة إلى العامرين يخبرهم أن الغضب والحقد الذين عرفتها عبس، وذلك إثر قتل عنترة بن شداد قد بلغت مستقرًا لها وهدأت، لأن بني عبس قاموا بعمل شفى ما في نفوسهم، ويفصل عروة ذلك في الأبيات الآتية:[1]

رَحَلْنَا من الجِبالِ أَجْبالِ طَـــــيْءٍ ** نَسوقُ النِّساءَ عَوَذَها وعِشارَهَا***

تَــرى كلَّ بَيْضاءِ العَوارِضِ طِفْلَـــــــةً ** تُفْري إذا شالَ السِّماكُ صِدارَهــَا***

وقدْ عَلِمَت أنْ لا اِنْقِلابَ لِرَحْلِـــــها ** إذا تَرَكَت مِنْ آخِرِ اللَّيلِ دارَهـــــــا**

يعود عروة هنا إلى استعمال ضمير (النحن) بدل (الأنا)، وذلك في قوله، (رحلــنا ونسوق)، لأنه هنا كان مع جماعة من قومه، فكما سبق القول أنه كان ممن تستنجد بهم قبيلته أثناء حروبها ومعاركها والمطالبة بالثأر والإقدام لنجدتهم، وهذه الفعال لا يقوم بها العبد بن الأَمَة، إنما يأتيها الفتى القوي الشجاع الحر ابن الحرة، وهو في ذلك يدافع عن أم، فأمه غريبة عن عبس وهي من نهد الذين لا يحترمهم العبسيون، ويؤكد أن بعد نسب الأم سبب في إنجاب الأولاد المميزين الأقوياء الذين لا يفرطون في ثأر قبيلتهم، يقول:[2]

أَعَيَرْتُموني أنَّ أُمّي نَزيـــــعَـــــةٌ ** وهَلْ يُنْجِبْنَ في القوْمِ إلاَّ النَّزائعُ؟**

ومَا طالِبُ الأَوْتارِ إلاَّ ابنُ حُرَةٍ ** طَويلُ نِجادِ السَّيفِ عاري الأَشاجِـــعُ.**

والوتر هنا هو الانتقام أو الثأر، وطلب الثأر معروف عند العرب وعند جميع الشعوب التي تتخذ من القبيلة نظامًا لها.

لقد عاش عروة بن الورد في قبيلته ودافع عنها شأنه في ذلك شأن فرد أو شاعر آخر من القبيلة، ووقف موقف الملتزم بقضاياها وحقوقها وواجباتها، وتحمل أعباء قبيلته، لما له من أهمية، وحمل لواء الشعر مدافعًا عن عنها أشد الدفاع، وهذا ما سجل انتماءه إلى عبس طوعًا واختيارًا.

---

[1] المصدر نفسه، ص ن.

[2] المصدر نفسه، ص85.

* دار الحفاظ: دورة الغضب والحفيظة والحقد، *أجبال طيء: هي ثلاثة: أجأ وسلمى والعوجاء، عوذها: المرأة حديثة الولادة، *العوارض: الثنايا.

2- الافتخـــــــــــــــــار بالقبيلـــــــــــــــــــة:

بحكم أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فليس من المعقول أن يكون الصعاليك بمنأى كامل عن المجتمع، ولا يكونوا خلقًا آخر في نفسياتهم وعواطفهم الاجتماعية، فكل منهم يجب أن تربطه بالمجتمع أي رابطة، ولو كانت هذه الرابطة عداءً وخصومة، ومن باب اعتبار الضدية نوعًا من الروابط، ولكن الصعاليك لم تكن الضدية وحدها هي الرابطة بينهم وبين مجتمعهم، بل كانت تتخلل حياتهم فترات كثيرة يرتبطون فيها بمجتمعاتهم، فضلاً عن أزواجهم وأولادهم، وفضلاً عن أن كثير منهم كان معدوداً من فرسان قومه وشجـــعانـــــهم وشارك قومه حروبهم وبأساهم، وهذا ما فعله حقًا عروة بن الورد، وقد أشرنا إلى ذلك في العنصر السابق، وقد اكتوى عروة بنار حروب قومه، لذلك نرى هذا الجانب الاجتماعي منعكسًا في شعره بجوانبه المختلفة.

الاعتزاز بالقبيلة من أكثر الموضوعات والأغراض شيوعًا في الشعر العربي القديـــم نتيجة لوضعهم القبلي الاجتماعي وما يترتب على ذلك مما هو معروف في علم الاجتماع من تأثر الفرد بالقبيلة وترابط أفرادها وطغيان شخصية القبيلة من حيث هي على شخصية الأفراد في جملتهم.

و لكن الصعاليك شذوا في جملتهم، حيث كان الواحد منهم يعتبر نفسه قوة مستقلة، وكياناً مستقلاً، ولذلك انفردوا بأن الواحد منهم كثيرًا ما يتصدى لقبيلة أو حيّ بأكمله، ويهدد ويتوعد بمفرده وكأنه قوة مماثلة لقوة قبيلة أوحيّ ، كما فعل الشنفرى مع بني سلامان، وكما فعل تأبط شرا مع بني الحيان من هذيل.[1]

ولكن بعض الصعاليك كانوا من العمد التي تقوم عليها قوة قبيلتهم كعروة بن الورد العبسي، وهذا النوع من الصعاليك شارك قبيلته في كل ظروفها، من حيث صراعها مع القبائل الأخرى، وانعكست مشاركته في شعره، وكان من أثر هذه المشاركة والارتباط

[1] ينظر: عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك: خصائصه ومنهجه، ص320.

بمصير القبيلة وظروفها إحساس الفرد بأنه مستمد لجانب من قوته من قوة القبيلة نفسها، وهذا هو المصدر الأساسي للفخر بالقبيلة والاعتزاز بها.[1]

وهذا النوع من الشعر نجده عند بعض أفراد الصعاليك، وعلى رأسهم عروة بن الورد فبينه وبين أعداء عبس يحكم السيف كما يحكم اللسان: فإذا ذكروا لهم نصرًا على عبس ذكر هو انتصارات عبس عليهم، ولا يهتم بإظهار نفسه صاحب المبادرات ومحرز الانتصارات فالمهم أنها لعبس وتسجل في رصيدها.

فليس أبعث لفخر الفرد من انتصارات قبيلته، وعودتها إلى أحيائها محملة بالغنائم تجر وراءها الأسرى، وخاصة سبايا النساء، إذ سبيهن مظهر لمدى قوة القبيلة وسطوتها ولمدى ضعف العدو وتخاذله، لأن القبيلة لا تتخلى عن نسائها إلا بعد أن تهزم هزيمة منكرة، ثم إن بقاء السبايا بأيدي القبيلة المنتصرة يذكر دائمًا بفوزها، ويبقى عاراً مشيناً لاصقًا بهم أمام القبائل الأخرى.[2]

"سبى عروة امرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زماناً إلى أن احتالت للوصول إلى أهلها. ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من عبس يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم يومًا حتى استنقذها أهلها. فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه إياها"[3]. يقول عروة:[4]

إنْ تَأْخُذوا أَسْماءَ مَوْقِفَ ساعَةٍ ** فَمَأْخَذُ ليلى وهيَ عَذْراءُ أَعْجَبُ***

لَبِسْنَا زَماناً حُسْنَها وشَبابَها ** ورُدَتْ إلى شَعْواءَ والرَّأْسُ أَشْيَبُ***

هكذا يسكت عروة بني عامر الذين هللوا لتمكنهم من أسر أسماء العبسية مدة ساعات، إذ يذكر بليلى بنت شعواء الهلالية التي بقيت عنده سنوات أكرمها خلالها

---

[1] ينظر ، المرجع نفسه، ص321.

[2] ينظر: أحمد عبد الغني زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص68.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص87.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق، أسماء أبو بكر، ص47.

* مأخذ: أسر، *أعجب: من العجب وهو الزهو، *لبسنا: من لبس الرجل أي امرأته، قال تعالى:"وَهُنَّ لِبَاسٌ لكمْ وأنتم لباسٌ لهُنَّ"، سورة البقرة الآية 186، *شعواء: والدة ليلى ويقصد بها قومها.

وتزوجها، لكن ذلك لا يمحو ما عانته من ذلك الموقف ومرارة اليأس والأسى والحسرة وذلك عند أسرها، وحين عجز قومها عن إنقذها.[1]

حيث يرد عروة على ابن الطفيل فخره نافيًا أي داع له، فما كسبه بني عامر من أسر أسماء التي بقيت عندهم يوم، فهو لا يدعو إلى الزهو بعكس أسر عروة لليلى، وحين قال:

لبسنَا زمانًا حُسنها وشبابـــــــها ** وردت إلى شعواءَ والرأس أشيَّبُ.**

فلعبة الوقت التي يلعبها عروة هنا ذات دلالة، فسرعة إنقاذ أسماء دليل على قوة عبس، ورفضها الضيم والسكوت، وهي دليل أيضًا على البأس والقدرة. أما بقاء ليلى في الأسر عمرًا بأكمله فدليل على تخاذل بني عامر وقلة نجدته، ودليل كذلك على ضعفهم، فأسماء كانت مدة أسرها ساعة أو ساعات، بينما ليلى دام أسرها سنوات، من شبابها وحتى دب الشيب رأسها.[2]

ثم يكشف عروة عن صورة طعن قوم السبية في رجولتهم التي لم يحركها ذلها فلم يخفوا لنجدتها، أو يجرؤوا على ذلك، فيقول: [3]

كما أَخَذْنَا حَسْنَاءَ كُرْهاً ودَمْعُــها ** غَداةَ اللِّوى مَغْصوبَةً يَتَصَـــــبَبُ*.**

ومن المقطوعات الشعرية التي تسجل لعروة انتماءه لعبس واعتزازه بها، ما قاله بعدما قتلت طيء عنترة بن شداد ودعوة عامر بن الطفيل على طيء بجدع أنوفهم، يبشر عامرًا بأن دعوته اُستجيبت وبأن عبسًا حققت الثأر فغزت طيئًا واستاقت نساءها الحرائر سبايا لا أمل في فكاكهن.[4]

وفي ذلك يقول:[5]

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص 88.

[4] المصدر السابق، ص53.

[5] عروة بن الورد ، الديوان، شرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد، ص 76.

رَحَلْنا من الجبالِ أَجْبالِ طَــيْءٍ ** نَسوقُ النِّساءَ عَوَذَها وعِشارَها**

تَــرى كلَّ بَيْضاءٍ العَوارِضِ طفلَــةً ** تُفْري إذا شالَ السِّماكُ صَدارَهــا**

وقد علمتْ أنَّ لا اِنْقلابَ لِرْحْلِهـــا ** إذا تركَتْ من آخِرِ اللَّيلِ دارَهَــا.**

يفخر عروة هنا بسبيهم لنساء طيء، واستخدم في ذلك ضمير (النحن) وهذا دليل على انتماءه لعبس واعتزازه بقوتها وفخره بمقدرتها، وتعصبه نحوها جعله لا يرى قوة فوق قوتها، ولا مقدرة تفوق مقدرتها.

فعروة ليس صعلوكًا منسلخًا عن قبيلته، فهو يشارك في معاركها ويهجو خصومها، ومما رواه صاحب الأغاني "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال كنا ألف حازم، قال وكيف؟ قال: كان فينا قيس بن زهير وكان حازمًا وكنا لا نعصيه، وكنا نقدم إقدام عنترة ونأتم بشعر عروة بن الورد، وننقاد لأمر الربيع بن زياد"[1]، أي أن القبيلة كانت شعر عروة سلاحًا ماضيًا من أسلحتها في حروبها وتأتم به.

ومما يراه يوسف خليف أيضًا أن (العقد الاجتماعي) بين الشاعر والقبيلة تحول إلى (عقد فني) جعله معبرًا عن مشاعرها وتطلعاتها قبل أن يكون معبرًا عن مشاعره واتجاهاته الشخصية، لذا اتجهت (الأنا) نحو (النحن) من خلال الفخر والإشادة بالقيم الجماعية التي تمثلها القبيلة، فكانت الغاية قبليّة، وإن تكن الوسيلة فردية.[2]

3- الولاء لسيد القبيلة:

إن نزوع الفرد نحو قبيلته وميله المفرط اتجاهها دفعاه إلى أن يرى في سيدها المثل الأعلى، و أن يرى في صفاته صفات فريدة تميزه عن سائر الأفراد الآخرين، إذ أن قضايا القبيلة وواجباتها نحو أفرادها، ونحو القبائل الأخرى كثيرة ومختلفة، فكان لابد لها من رئيس يتحمل عبء القيام بالتوجيه والإرشاد وحمل المسؤولية أمام مجتمع القبيلة،

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص71.

[*] اللوى: منقطع الرمل ويقصد به الموضع الذي تم فيه الأسر.

[2] ينظر: يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة، ص ص174، 175.

الذي يعيش غالبًا حياة غير مستقرة في مواجهة طبيعة قاسية، تجبره على التنقل والترحال، وفي مواجهة أعداء أولي بأس وقوة يجبرونه على التيقظ والحذر.[1]

والربيع بن زياد، هو أحد سادات عبس المشهورين، "فقد اشتهر بمآثره البطولية وشرف نسبه، وشهد حرب داحس والغبراء وقتل فيها"[2]، وقد كان عروة يرى في الربيع بن زياد السيد المثال، الذي يتحلى بالخصال الجيدة التي تؤهله ليكون سيدًا لقبيلة عبس، فقد يُبدي له تقديرًا وتجلة واحترامًا كبيرًا، فضلاً عن الطاعة والخضوع لتوجيهه وإرشاده، وفي ذلك يقول:[3]

لِكُلِ أُناسٍ سَيِّدٌ يَعرفونـــــَــهُ ** وسَيِّدُنَا حتَّى المَماتِ رَبيـــــعُ**

إذا أَمَرَتْنِي بالعُقوق حَليلَتي ** فَلَمَ أَعْصِها إنِّي إذاً لَمُضيعُ*.**

يقدم عروة الولاء لسيد عبس، الربيع بن زياد، ولاء مطلقًا يجعل الربيع السيد الأوحد، وولاء يستمر طالما استمرت الحياة. وفي سبيل هذا الولاء يعصي عروة جميع الناس، حتى زوجته إذا أمرته بالخروج على ولاءه، لأنه لما يعصه يحكم على نفسه بالضياع والتلف.

من هذين البيتين يتبين أن عروة يبدي للربيع ولاء ما بعده ولاء، ولا يبدي هذا الولاء إلا من ينتمي للقبيلة ورئيسها، فالصعلوك المتشرد لا يجد لنفسه قبيلة أو رئيسًا حتى يقدم الولاء له.

4- التكيّف النسبي مع المجتمع:

وأعني هنا بعبارة التوازن الاجتماعي – إن صح التعبير– أن عروة متوازن اجتماعيًا، فمن حيث وجوده في القبيلة واندماجه مع المجتمع ووجوده في الحي وكذا في

---

[1] ينظر : عبد الغاني زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص75.

[2] بلا يشر، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ص303.

[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 84.

* حليلتي: زوجتي، *لمضيع: محكوم بالضياع والتلف.

النادي مع عليّة القوم، ووجوده في البيت وإكرامه للضيف وطالب القرى، فكل هذا يحقق توازنه الاجتماعي، ويسجل انتماءه القبلي، وفي ديوانه مقطوعات شعرية تدل على ذلك.

4-1- وجوده في القبيلة:

يذكر عروة أن قيسًا بن زهير، سيد عبس يتمنى غربته، أي يطلب منه ترك الديار والقبيلة والابتعاد عنها، وعروة يندد بهذا الطرد الملتوي ويتنبأ لعبس بفقد معينها وقت الشدة ورافع لواء مجدها في حال تحققت أمنية قيس، وفي هذا دليل واضح انتماء عروة لقبيلته.

فقد حصل بين عروة وقيس بن زهير عداء، فانتقد قيس تصرفات عروة وأقواله، وأبدى رغبة في رحيل عروة من دياره، فنظم عروة هذه القصيدة يتنبأ فيها لقيس بالخذلان والهزيمة إذا رحل مع جماعته، لأنهم سيف عبس الحقيقي، وهم صانعوا قوة قيس، وبدونهم يغدو تابعًا لكل حقير ذليل.[1] وفي ذلك يقول:[2]

تَمَنّى غُرْبَتـــي قَيْسٌ وإنِّـــي ** لأخْشَى إنْ طَحَا بكَ مـا تَقولُ***

وصارتْ دارُنَا شَحْطًا عليكُـمْ ** وجُفَّ السَّيفُ كُنْتَ بهِ تَصـــولُ***

عليكَ السَّلْمُ فَاسْلَمْها إذا مَا ** أَواكَ لهُ مَبيـــتٌ أو مَقـيلُ***

بأنَّكَ يَعْيَا القليلُ علَيْكَ حتَّـــى ** تَصيرَ لـــهُ ويَأْكلَكَ الـــذَّليـلُ***

فإنَّ الحـرْبَ لـــوْ دارَتْ رَحاهَـــا ** وفاضَ العـزُّ واُتُبِعَ القَليـــلُ**

أراد عروة في هذه المقطوعة، أن قيسًا تمنى رحيله عن الديار، ولو رحل عروة فعلاً مع جماعته من الصعاليك سيضعف نفوذه، ويصير منه الأمر إلى أن يتمكن منه الأذلاء. وأي معركة يخوضونها بعد تركه لهم سيثبت كلام عروة ويذهب عز قيس، وفي هذه الحالة يصبحون أذلاء راضين بالعيش الحقير، ويتحسرون على أيام كان فيها عروة

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص216.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 95.

* طحا به: ذهب في مذهب بعيد، *الشحط: البعد، *الجف: جماعة من الناس، *تصول: تسطو، *السلم: الاستحذاء والانقياد، *أعيا عليه: أعجزه.

رافع شأنهم وداعم عزهم. وبالموقف الذي يؤدي إلى ابتعاد عروة يكون قيس بذلك قد حرم نفسه نعمة كبيرة، وقد تكون أكبر نعمة في حياته، وهذا دليل على المكانة العظيمة التي يحتلها عروة في القبيلة، مما يسجل انتماءه إلي عبس.

4-2- وجوده في الحي:

لقد ذكر عروة في شعره وجوده في الحي و مع العيال الجائعين الذين يطعمهم في سنوات القحط، وهذا دليل على أنه لا يحيا متوحدًا، بل في الحي وبين الناس، وفي ذلك يقول:[1]

هَلاَ سأَلْتَ بَنـــــــــي عَيْلانَ كُلَّهُـــم ** عندَ السِّنينَ إذا ما هَبَّتْ الرِّيحُ***

قدْ حانَ قِدْحُ عيالِ الحَيِّ إذا شَبِعوا ** وآخِرٌ لِـذَوي الجيرانِ مَـمْـــنوحُ.***

في سنوات القحط والجذب يجعل عروة من الزاد حصة لعيال الحي، وحصة تمنح للجيران، وهذا دليل على وجود عروة في القبيلة، وبين جيرانه.

4-3- الجلوس في النادي:

كان عروة يجلس في النادي الذي يؤمّه عليّة القوم، وهذا دليل على عيشه بين أهله وعلى تقبلهم إياه وتكريمهم له، يقول:[2]

قالَتْ تَماضَرْ إذا رَأتْ مالي خـَوى ** وجَـــــــفـا الأَقارِبُ قَريحُ**

مَالِي رَأَيْتُكَ فـــي النَّـــدِيِّ مُنَكِّساً ** وَصِباً كَأَنَّكَ في النَّدِيِّ نَطيــحُ***

فعروة لم يقطع صلته نهائيًا بقبيلته، وعاش بين أهله وأصحابه يتردد على النادي يلهو يتسلى، شأنه في ذلك شأن أفراد القبيلة الآخرين، يجلس مع عليّة القوم يتقبلونه ويكرمونه، وهذا يخالف الصورة المعروفة عن الصعلوك الذي يسكن القفار والفيافي، فعروة يسكن بين قومه، يترك دياره في رحلة التصعلك ثم يعود إليها، وهذا يسجل انتماءه لقبيلته.

---

[1] المصدر السابق، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 54.

* بني عيلان: القبيلة الأم التي ينتمي أليها العبسيون، *قدح: السهم الذي لا ريش عليه ولا نصل له، *الندي: المجلس.

4-4- إكرامه للضيف:

من المعروف أن شهرة الكرم والكرماء بين العرب لا تكاد تعادلها شهرة، ومن يبحث في أشعار الجاهليين يجدها زاهرة بالإشارة إليها، ويشعر من خلال الإطلاع عليها بمدى ما يكّنه الإنسان العربي في نفسه من تقدير لهما، ومن رغبة شديدة في أن يتحلى بتلك القيّم الخلقية التي منحها المجتمع أرفع وأعلى مكانة لديه، وجعل من يتصف بها في ذروة النبل والشرف، ودعا الآخرين إلى الإقتداء بها، والنسج على منوالها.

ومن هنا أتت شهرة الرجال بالكرم حتى اقترنت قيمته بأسمائهم في أذهان العرب عامة، فلا يذكر الكرم والجود والعطاء إلا ذكروا معها[1]، فقيل: "أجود من حاتم الطائي، وأجود من كعب بن مامة"[2]، كما قيل أيضًا: "أجود من هرم بن سنان".[3]

ولا يقل جود وكرم عروة عن هؤلاء، حيث قيل: "إن عبد الملك بن مروان قال: من زعم أن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد"[4]. فالكرم خصلة يمكن أن تتوفر للشخص المنتمي لإحساسه بروح الجماعة.

وكرم عروة هذا كان مع صعاليكه، كما كان في قبيلته وبين جيرانه، ومع طارق الباب وطالب القرى، ففراشه فراش الضيف، وبيته بيت الضيف، وبردته يلتف بها وضيفه إذا اشتد البرد، أما ماله فمشترك بينه وبين جاره، وهذه صورة واضحة عن وجود عروة في القبيلة وانتمائه لكل هؤلاء، يقول:[5]

أَرى كلَّ ريحِ سَوْفَ تَسْكُن مَـــــــرَّةً ** وكلَّ سَماءٍ ذاتِ دُرٍّ سَتُقْلَــعُ**

فإنَّكَ والأَضْيافُ في بُرْدَةٍ مــعــاً ** إذا ما تَبِصُ الشَّمْسُ ساعَةَ تَنْزِعُ***

---

[1] ينظر: عبد الغاني زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص253.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة، المحمدية، 1384هـ/1955م، ج1، ص183.

[3] المصدر نفسه، ص188.

[4] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص71.

[5] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 83.

* تنزع: تجري إلى المغرب، *القرى: الضيافة، *يهجع: ينام.

فِراشي فِراشُ الضَّيْفِ والبيْتُ بيْتُهُ ** ولـــمْ يُلْهِني عنـــهُ غَـــزالٌ مُقَنَعُ**

أُحَدِثُهُ إنَّ الحَديثَ مـــــنَ القِـــــرَى ** وتعلمَ نَفسي أنَّـــهُ سَوْفَ يَهْجَعُ***

إن عروة الذي يكرم ضيفه ويشركه في بردته، يقدم له عطاءات أخرى، تثبت أن الضيف حين ينزل الدار يصبح هو السيد وعروة هو التابع، ففراشه يغدو فراش الضيف وبيته أيضًا، فضلاً عن ذلك يبقى معه ولا يبتعد عنه، ولا ينفع في إلهائه عن ضيفه إغراء الجمال ولا دلال النساء (ولم يلهني عن غزال مقنع). كما أن القرى عند عروة ليس في إطعام الضيف وتأمين نومه، بل القرى أن تحله مكانك وتشعره أنه صاحب البيت، وأنت تابع له، همك إرضاؤه فتبقى إلى جانبه تحدثه وتسليه في انتظار أن يغلبه النعاس وينام.

ومما قاله عروة في جاره:[1]

فَـــإذا غَنيتُ فإنَّ جـــاري نَيْلَـــهُ ** مـــن نائـــلي ومـــيَسِري مَعْهـــــودُ***

ومما قاله أيضًا في جارته:[2]

وإنْ جارَتي أَلْوَتْ رِياحٌ بَيْتَـــها ** تَغافَلْتُ حتَّى يَسْتُرَ البيتُ جانِبـــــَهُ***

إن عفة عروة اتجاه جاره إذا حملت الرياح بيتها، وآيتها أنه يغض الطرف عنها إلى أن يحجبها الفناء، دليل على خصاله السامية، ولا يتحلى بهذه الخصال إلا من ينتمي إلى الجماعة، فالدار والجار يتواجدان في القبيلة لا في القفار، وهذا ما يسجل انتماء عروة.

وفي الأخير يمكن القول إن عروة كان يعيش حياة مستقرة إلى حد ما، فبينما الصعلوك المتشرد بيته الصحاري والقفار الموحشة، فإن عروة مثله مثل بقية أفراد القبيلة، يملك بيتًا يستقبل فيه الضيف ويكرمه وله جيران يشاركهم يسرهم وعسرهم.

---

[1] المصدر نفسه، ص 57.

[2] المصدر نفسه، ص 48.

* ، النائل: العطاء ، *ألوت به: ذهبت به، *الجانب: الناحية والفناء.

5- الوقوف على الأطلال:(المقدمات الطللية):

أن للمقدمات الطللية ظاهرة أصيلة من صور الانتماء، والدارس لشعر الصعاليك، يجد أنهم ساروا في كثير من شعرهم على ما سار عليه غيرهم من شعراء عصرهم، فوقفوا على الأطلال، وتذكروا أهلها، وبكوا واشتكوا ألم الفراق ولوعة الحرمان وبعد المحبوب، فشعرهم قد يبدأ بالوقوف على الأطلال أحياناً وأحياناً أخرى يبدأ بحديث الشاعر إلى محبوبته حديثاً هادئاً.

وإذا حاولنا تتبع بعض المقطوعات الشعرية من ديوان عروة التي يبدأها بالوقوف على الأطلال، وذلك من أجل استيضاح هذه الصورة وبيانها، يقول عروة:[1]

أَلَمْ تَعْرِفْ مَنَــازِلَ أُمَّ عَــمْــــرو ** بِمُنْعَرِجِ النَّواصِفِ مـــــــن أَبانْ؟***

وقفْتُ بِها فَــفاضَ الدَّمْعُ مِنِــي ** كَمُنْحَدَرٍ مِنَ النُّظْمِ الجُمــانْ***

ولكْن لَنْ يَلْبــــــــثَ وَصْلُ حَــــيٍ ** وجِدَّةُ وَجْهِهِ مَــرِّ الزَّمـــــانْ.**

إن رؤية منازل أم عمرو حركت شجونه، وجددت ذكرياته، فسالت دموعه غزيرة، والأيام دول والدهر لا يدوم على حال، والزمان لا يبقى على حال، فلا يبقى من أيام الزمان الجميلة الهانئة غير الذكريات.

ويتحدث عروة عن ديار محبوبته أو زوجته أم حسان شاكيًا من الفراق والبعد، ويتذكر أيام كان ينعم بوصلها، في جو مليء بما هو جميل، حيث يقول:[2]

عَفَتْ بَعْدَنَا من أُمِّ حَسَّانَ غَضْوَرُ ** وفي الرَّحْلِ مِنْها آيَةٌ لا تَتَغَيَّرُ*.**

إن عروة لم يعد ينزل غضور، بعد أن فارقته أم حسان، هذه المنازل هُجِرَتْ واندثرت بينما سلمى (أم حسان) لا تزال في نفسه باقية لا تزول، وعلى الرحل الذي كانت تعلوه علامة منها ثابتة لا تتغير.

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص ص 230، 231.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: أسماء أبو بكر محمد، ص 71.

* النواصف: أماكن بين الغلظ واللين، *أبان: اسم جبل، *الجمان: اللؤلؤ الصغار، *غضور: ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة ولعلها منازل عروة وزوجتاه.

ثم يتابع قوله:[1]

وَبِالْغُرِ والغَراءِ مِنْها مَنازِلُ ** وَحَوْلَ الصَّفَا من أَهلِها مُتَدَوَّرُ**

لَياليناَ إِذْ جَيْبُها لكِ نــاصِحٌ ** وإِذْ ريحُها مِسْكٌ زَكِــيٌّ وعَنْبَرُ**

أَلَــمْ تعْلَمِ يَا أُمَّ حسَّانَ أَنَّنَــــــا ** خَليطاً زِيالَ ليسَ عَنْ ذاكَ مُقَصــرُ**

وأنَّ المَنايَا ثَغْرَ كُــلَّ ثَنِيّــَةٍ ** فَهَلْ ذاكَ عَمَّا يَبْتَغِي القوْمَ محصَرُ؟*.**

لا يريد عروة نسيان ليالي الصفاء، حين كانت أم حسان تكّن له الود وتقبل عليه بقلبها المحب، إلا أن هذه السعادة لم تدم، فكل طريق صعب ينتهي إلى انفراج، وكذلك طريق الحياة الشاق لابد له من الموت لتكون هي نهاية هذا الطريق، وكل هذا لا يمنع الناس من التمني والعمل على تحقيق مطلبهم.

هذا نموذج من المقدمات الطللية لعروة، والتي ذكر فيها الأطلال ووصفها كما وصفها معاصريه من الشعراء الجاهليين، ووقف عليها فبكى وتذكر من يحب واشتكى ألم الفراق وبعد المحبوبة في جو نفسي مفعم بالحزن والأسى وحيرة بالغة.

6- المقدمات الغزلية:

القسم الثاني من المقدمات الطللية، هو تلك المقدمات التي خلّت من الوقوف على الأطلال صراحة، ولكنها تظل مقدمات غزلية تتعلق بالمحبوبة والتي طالما شغلت القلوب والعقول وأسهرت العيون، فوصفوها وتغنوا بها.

ففي مطلع قصيدة لعروة تجده يبدأها بذكر سلمى، حيث الذكريات الجميلة والأيام الحلوة التي يحركها رؤية البرق، فتجيش العاطفة وتعتصر الحسرة والندم قلبه على فراقها والتفريط فيها، فنجده يلوم نفسه تارة ويتذكر حديثها تارة أخرى، متمنيًا لو عادت تلك اللحظات الجميلة السابقة فينعم بوصلها ويهنأ بقربها، فيقول:[2]

---

[1] المصدر السابق، ص 71.

* الثنية: الطريق في الجبل، *محصر: مانع.

[2] المصدر السابق، ص ص 62، 63.

* عمق: أرض لمزينة قرب المدينة، *قديد: ماء بالحجاز، *الكسير: الجفن الكسير، *إمّرة وكير: موضعان، *أم وهب: كنية زوجته سلمى، *النقير: موضع بين هجر والبصرة.

أَرَقَتْ وَصُحْبَتِي بِمَضيق عُـمقٍ ** لِبَرْقَ من تُهامَةَ مُسْتَطـــيرْ***

إذا قُلْت: اِسْتَهَلَ على قَديــدٍ ** يَحورُ رَبَابُهُ حورَ الكَســـيرْ***

سَقى سَلْمَى وأينَ دِيَّارُ سَلْمى؟ ** إذا حَلَّتْ مُجاورَة السَّريـــــرْ**

إذا حلَّتْ بِأَرْضِ بَنــي عَلِّـــيٍّ ** وأَهْلي بَيْنَ إِمِــرَّةٍ وكَـــيــرْ***

ذكرتُ مُنازِلاً مِنْ أُمِّ وَهْـــــبٍ ** مَحَلَ الحَيِّ أَسْفَلَ ذي النـــقَّيرْ***

وأَحْدَثَ مَعْهَدٍ من أُمِّ وَهـــبٍ ** مُعَرِّسُنا بِدارِ بَنــي النَّضـــــيرْ.**

إن حديث عروة عن زوجته وتغزله بها، وتألمه لفراقها يدل على أنه كان ينعم بحياة مستقرة فيها من الود ما فيها، فالاستقرار الأسري مظهراً من مظاهر الانتماء.

وفي مطلع قصيدة أخرى يتحدث عن موضوع ليس ببعيد عن الذي سبق، حيث فارقته زوجته ليلى بنت شعواء الهلالية، فنجده يقول:[1]

تَحِنُّ إلـــــى لَيْلَى بِجَوِّ بِــلادِها ** وأَنْتَ عَلَيْها بالمَلا كُنْتَ أَقْــدَرَا***

وكيْفَ تُرْجيهَا وقدْ حِـــيلَ دونَــها ** وقدْ جاوَرْتُ حَيّاً بِتَيْمَنَ مُنْــكِـــــرَا***

تَبْغانِي الأعْداءُ إمَــا إلـــــى دَمٍ ** وإما عُراضَ السَّاعِدَيْنِ مُصَدِرَا***

لعلَّكَ يَوْماً أنْ تَسْري نَدامـــةٌ ** عَلّيَّ بِما جَشَمْتِنِي يَوْمَ غَضْـــوَرَا**

فَغَرَبْتِي أَنْ لَمْ تُخْبِريهِمْ فَلا أَرى ** لي اليَوْمَ أَدْنى منكِ عِلْماً وأَخْبَرَا.**

بعد أن تركته زوجته ليلى بنت شعواء، نازعته نفسه إليها، فراح يزجرها ذاكرًا كل ما يبعدها عنه ويقطع أمله في رأياها، فهي ذهبت إلى مكان بعيد داخل ديار أهلها، مما ترك في نفسه جرحًا عميقا لا تنسيه فيه الأيام.

إن المتتبع لشعر عروة يصل إلى قناعة مفادها أن الشاعر كان له مقدمات طللية وغزلية، افتتح قصائده بها، كغيره من الشعراء في عصره، فوقف على الأطلال ووصفها وبكى واشتكى، وتذكر الأحبة، وحن إلى تلك الذكريات، وعانى من الهجر وبعد من يحب

---

[1] المصدر نفسه، ص ص 65، 66.

* الملا: موضع، *تيمن: أرض في شق اليمن، *مصدرا: قوي الصدر.

فسهر وراقب النجوم، وكل ذلك في قالب شعري جيّد الوصف ودقيق المعاني وعميق الإحساس.

7- الاستقرار الأسري (عروة وزوجتاه):

إذا كانت قصائد عروة لا تبدأ بالوقوف على الأطلال صراحة، مع ذكرها ووصفها، في جوّ مفعم بالحزن والأسى، بعد أن هيج الموقف ذكرياته مع أحبائه وإذا لم تبدأ بالغزل بالمحبوبة، دون ذكر لأطلالها أو الوقوف عليها، فإن شعره يبدأ غالبًا بحوار هادئ بين الشاعر وصاحبته أي زوجته، حوارًا نجده مفعمًا بالحب والمودة والاحترام الذي يكّنه الشاعر لزوجته ورفيقة دربه التي أحبها وأجلها، لأن من مظاهر الانتماء الاستقرار الأسري.

استكان عروة إلى سلمى الكنانية وكذلك إلى ليلى الهلالية، ونشأت بينه وبين زوجتيه رابطة يمكن أن نسميها حبًا له وإعجاباً به لكن كلا المرأتين رفضت وضعهما وضع الغريبة عن القبيلة وراحتا تتحينان الفرص للالتحاق بقومهما، والغريب أن مأساته مع سلمى تكررت مع ليلى وإن اختلفت التفاصيل.

فذاق عروة مع سلمى السعادة وأحس بغرور الرجل تهتم به زوجته حين تشعره خوفها عليه إذا سافر وغامر، فكانت عروس أشعاره، ذكرها في عدة قصائد وصورها في معظم الأحيان، وهي تنهاه عن الغزو وتطلب منه الاستقرار في بيته أو تتأذى من تبذريه المال لأن تبديده أحد أسباب ترك الديار لنيل الغنى، وقد كّنى سلمى في قصائده بكنيات مختلفة، فتارة أم حسان وتارة بنت منذر، وأخرى أم وهب.[1]

يطلب عروة من زوجته أن تتركه وشأنه، ولا تكثر من اللوم عليه بأسلوب هادئ، يقول: [2]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمِ يا بِنْتَ مُنْــذِرٍ ** ونَامي وإنْ لم تَشْتَهي النَّوْمَ فَاسْهَرِي**

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص ص 48 - 50.
[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 67.

ذَرِينِي ونَفْسِي أُمَّ حسَّانَ إنَّنِـــي ** بِهـــا قَـــبْلَ أنْ أَمْلِكَ البَيْـــعَ مُشْـــتَـــرِي**
أحادِيثُ تَبْقَى والفَتَى غَيْرُ خالِدٍ ** إذا هُـــوَ أَمْسى هامَـــــةً فَوْقَ صِيـــرِ.**

ويقول: [1]

أَرى أُمَّ حسَّانَ الغَداةَ تَـــــلومَنِي ** تُخَوِفُنِـــي الأعْـــداءَ والنَّفْسُ أَخْوَفُ**
تقولُ سَلَيْمَى: لوْ أَقَمْتَ لَسَـــرَنَا ** ولـــمْ تَدْرِ أنِّـــي للمُـــقـــامِ أُطَـــوِّفُ.**

لقد ظلت الزوجة حاضرة في شعر عروة، وهذا ينم عن مكانة عالية تبوأتها الزوجة عنده، فهو يرى فيها كائناً يستحق التقدير والاحترام، تشاركه أفراحه وأحزانه وتتحمل معه أعباء الحياة، لذا يخاطبها بلهجة مفعمة بالحب والتودد، وبألقاب متنوعة فيها تكريم لها وإشعار بالعزازة، فهي حاضرة على الدوام في حوارات هادئة تدعمهما علاقات حب تربطهما، على عكس بعض الشعراء الصعاليك مثل "تأبط شرا والشنفرى"[2].

إن كثرة ذكر الزوجة في الديوان، وخوفها ولومها لزوجها، تدل على أن عروة كان يحيا حياة زوجية مثله مثل بقية الأزواج في القبيلة، يحب زوجته فيقدرها، وتحبه أشد الحب، فتخاف عليه حياة المخاطرة والمجازفة، فمن مظاهر الانتماء الاستقرار الأسري.

المعروف عن الصعاليك الذين كانوا يعيشون حياة شظف، يؤمّون الأماكن النائية الخطرة، وكاد مجمعهم أن يكون مغلقًا، فلا غرابة إذن إن كانت أشعارهم تمثل الصلابة، وإن كانت ألفاظهم أكثر ألفاظ الشعر العربي غرابة. على خلاف عروة بن الورد الذي لم ينسلخ تمامًا عن قبيلته ولم يعش حياة الذئاب، فهو لم يغدو صعلوكًا متذئبًا، وابناً باراً بالفيافي والقفار، يهرب من الناس ويهربون منه، إنه يبدو أليفًا يحيا حياة سائر الناس، بل إنه يهتم بالآخرين والآخرون يتقربون إليه، ويستنجدون به ويشعرون أن لهم عليه حقًا من قرى وعطاء ومساعدة، وهذا ما حفظ له رقة الناس العاديين ولين طباعهم وأساليب تعبيرهم، اتسم بخصال سامية حرص بها على تحقيق انتمائه القبلي، فحديثه عن الجار

[1] المصدر نفسه، ص 87.
[2] علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1960، ص142.

والمنازل والعلاقات الطبيعية بين الناس: من عتاب ولوم، من حماية الأهل والعشيرة، حماية النساء والقبيلة، حرص على إكرام الضيف وطالب القرى، دافع عن قبيلته وفخر بها، كما قدم ولاء لسيدها وما إلى ذلك، مما لا نجده عند الصعاليك المستوحدين، هي أمور حرص عروة عليها لأنها عنوان بقائه في مجتمع سيطرت عليه النزعات القبلية. وهذا كله يثبت في رأينا أن عروة لم يعش كصعلوك، وإن اعتنق الصعلكة وتصرف وفق معطياتها، وفيما عدا ذلك كان يعيش بين قومه، يحس بينهم بالانتماء القبلي.

وكان شعره دليلاً على ذلك وعنواناً لانتمائه؛ فيه الاعتزاز بالقبيلة والدفاع عنها، فيه الوقوف على الأطلال والتغزل بالمحبوبة، وهذه مظاهر أصيلة للانتماء، إضافة إلى اتسام شعره بميزة الشعر الجاهلي عمومًا، فألفاظه كانت أقل غرابة وأسلوبه أكثر سهولة مقارنة مع شعر الصعاليك الآخرين.

فعروة إذن لم يثر على عبس، ولم يتخل عنها وعن مطامحها وهمومها، وإنما ثار على تقاليد القبيلة، ثار على الظلم وقلة العدالة في التعامل مع الإخوة، ثار على عدم التوازن في توزيع الثروات، كما ثار على البخل والخنوع وقبول الذل، وسيأتي التفصيل في ذلك في الفصل الآتي من هذا البحث.

الفصل الثالث

تمهيـــــد:

يترك الفرد قبيلته وعشيرته في الغالب، لأنه يتخلى عنهم أو يتخلوا عنه، ويتخلى الفرد عادة عن جماعته إذا أنف من وضعهم أو نقم عليهم.

إذا ترك الفرد قومه إلى غير رجعة يكون أمامه طريقان: إما أن يبحث عن قبيلة جديرة بأن يلتحق بنسبها عن طريق التبني، وإما أن يبقى وحيدًا يقوم بغارات فردية على سالكي طرق الصحراء، ويروع الأحياء الآمنة، وبذلك يغدو صعلوكًا.

أولاً – مظاهر اللاانتماء في الشعر الجاهلي:

إن الانسياق وراء محاولة تثبيت موقف اقتدار القبيلة في ظرف الحرب، ومحاولة رفع مكانتها في ظرف السلم اقتضيا من الشعراء أن يوظفوا جل جهدهم للمهمة الجماعية. ولكن ذلك لم يرق إلى إلغاء الموقف المتفرد عند هذا الشاعر أو ذاك، فثمة شواهد على صور متباينة من محاولات التمرد الفردي، ولعل ظاهرة الصعلكة من أوضحها وأقدرها على تثبيت ملامح صيغة تتسم بشيء من الشمول في محاولة الجهد الفردي لإيجاد متنفسه في الانفلات من القيد القبلي، وذلك عن طريق إعطاء الذات حريتها في التصرف إلى حد يسيء إلى القبيلة فتضطر عندها إلى خلع المسيء.[1]

والخلع مظهر اجتماعي معروف في عالم الجاهلية، والجماعة تخلع من أفرادها من طبع على الشر وعلى اقتراف الموبقات والآثام، وجرّ الجرائر عليها، وحين تشعر القبيلة بعجزها عن تحمل جرائره، وتشعر بالمذلة والمهانة لِما يلحق لها من سوء سمعته. وقد تنذره وتأمره بالتخلي عن سلوكه، فإن لم يفعل تسحب منه هويته القبلية[2]، "وليس من كارثة على البدوي أشر من خسرانه نسبه القبلي، وماذا يفعل من لا قبيلة له في بلاد يحسب الغريب عدواً؟ إنه واقع في شر مستطير."[3]

ومن خلعاء العرب على سبيل المثال لا الحصر، قيس بن الحدادية، ومن قوله:[4]

جَزَى اَللهُ خَيْراً مِنْ خَلِيعٍ مُطْــرَدٍ ** رِجَالاً حَمُوهُ آلَ عَمْـــرُو بْنُ خَـــالِدٍ.**

---

[1] ينظر: محمد عبد الله الجادر، (الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر)، مجلة المورد، المجلد15، العدد02، 15فيفري1986م، ص09.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم : سعدي ضناوي، ص14.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج2، 2007م/1428ه، ص91.

وكذلك أبو الطمحان القيني، ومما قاله بعد خلعه:[1]

أَلاَّ حَنَّــتْ الِمرْقَالُ وأُنْبَّ رَبَّهَــا ** تَذْكُــرُ أَوْطَــــــانًا وأَذْكُــــرُ مَعْشَــرِي**

ولَــوْ عَرَفْتُ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّهَــا ** بِمَكَّــةَ أَنْ تُبْتَاعَ حَمْضًــا بــإدخر.**

وهكذا كان من الطبيعي أن يستوعب نتائج الصعاليك الشعري آثار هذه الرغبة العارمة في التفرد، عن طريق هدم مقومات الانتماء، وذلك ما يمكن أن نتأمله في لامية الشنفرى، التي يقول فيها:[2]

أَقِيمُــوا بَنِــي أُمِّــي صُــدُورَ مَطِيَّكُــمْ ** فَإِنِّــي إلى أَهْــلٍ سِوَاكُــمْ لَأَمِيــلُ**

فَقَــدْ حُمَّتْ الحَاجــَاتُ واللَّيــْــلُ مُقْمِــرُ ** وُشَدَّتْ لِطَيَّاتِي مَطَــايَا وأَرْحَلُ**

وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عن الأَذَى ** وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَــــى مُتَعَــــزَّلُ**

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضَيْقٌ على اِمْرِئٍ ** سَرَى رَاعِيًا أو رَاهِبًا وهو يَعْقِــــلُ.**

وقد نجد نماذج تمخض عنها موقف يواجه فيه الشاعر محنة تخلي القبيلة عنه وإحجامها عن نصرته على حق من حقوقه، كنونية قريط بن أنيف العنبري، من خلال موازنة قومه ببني مازن المشهورين بتماسكهم القبلي[3]، ومطلع قصيدته:[4]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْبَحْ إِبِلِــي ** بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بَنُــــو شَيْبَانِ.**

هذه بعض مظاهر للاانتماء الدائم، وقد عرف إلى جانبها مظهر للاانتماء مؤقت، تفرضه الرحلة في طلب الغنى، وهذا المظهر عرف به أمير الصعاليك عروة بن الورد، فقد وجد نفسه وسط جماعة تسعى إلى تحقيق أغراض لا تعجبه، فخالفها الرأي، وتمرد

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ج1، ص388.

[2] الشنفرى، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ص ص58،59.

[3] ينظر: محمد عبد الله الجادر، (الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر)، مجلة المورد، ص11.

[4] أبو تمام الطائي، ديوان الحماسة، شرح: التبريزي، مطبعة التوفيق، مصر، 1322ه،ج1، ص03.

عليها، لأنه رأى خللاً في نظام القبيلة، تمثل في فقدان التوازن الاقتصادي والاجتماعي، ومظهر خلو اليد وتخلي الأهل والأقارب ، فإذا كان الفقر والغنى متجاورين في عالم الجاهلية، وإذا كان المنتمي إلى الجماعة إنساناً مميزًا يتمتع بجميع الحقوق، فقد ظهرت الصعلكة بديلاً عن الغنى وانتماءً تنبع من اللا انتماء.

ولقد ثار عروة بن الورد على الظلم، كما ثار على اختلال التوازن في توزيع الثروات، وثار على البخل والبخلاء، كما ثار على الخنوع وقبول الذل والخمول، أي أنه تمرد على تقاليد القبيلة وأعرافها.

ثانياً – دوافع الصعلكة عند عروة بن الورد:

لم تذكر الروايات التي دارت حول عروة أنه أتى من الأفعال ما يشين قبيلته أو يعيبها، ولم يكن من أولئك الصعاليك الذين اختاروا الصعلكة لأنهم من الأغربة، أو الخلعاء، أو العبيد، بل على العكس من ذلك، فعروة ينتمي إلى نسب شريف من عبس، لكن اجتمع في نفسه سببان كانا حرقة في نفسه، وربما كانا من الأسباب الرئيسية التي دفعت به إلى الصعلكة.

الأول: أن والده كان مصدر تطير وتشاؤم في بني عبس، إذ كان هذا الرجل سبب الحرب التي دارت رحاها بين قبيلتي عبس وذبيان، حرب داحس والغبراء،[1] فلحق عاره بأبنائه، وبدل أن يكون مصدر فخر لهم، تحول إلى مصدر خجل يحاولون مداراته وإخفاءه.

أحدث هذا في نفس عروة بعض الأثر السلبي، إلا أنه كان يدافع عنه، ذلك أنه لا مأخذ عليه سوى أنه تزوج في بني نهد، يقول:[2]

[1] محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ص250.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص46.

لاَ تَلُــمْ شَيْخِـــي فَمَا أَدْرِي بِـــهِ ** غَيْرَ أَنْ شَـــــارَكَ نَهْدًا في النَّسَــبْ**

كَــانَ في قَيْـــسٍ حَسِيبًــا مَاجِدًا ** فَأَتَتْ نَهْـــدٌ عَلَــى ذَاكَ الـــحَسَــبْ.**

في قوله (لا تلم شيخي)، والشيخ هنا يقصد به الورد والد عروة، ولعل هذا الخطاب موجه إلى من يصور الورد شؤمًا على عبس، بسبب دوره في إشعال حرب داحس والغبراء.

والسبب الثاني، والذي أثر كثيرًا في نفسية عروة هو أن أمه كانت من قبيلة نهد، وهي أقل شرفًا من قبيلة عبس، وهذا النسب هو الذي دفعه إلى مهاجمة أخواله النهديين بطريقة عنيفة، وتعريتهم من كل فضل أو مجد، فضلاً عن التجربة التي تحملها الأبيات التالية، والتي ندرك من خلالها مدى تأصل فكرة الأصالة التي يجب أن تكون متعادلة بين الأم والأب، فلا يكون هناك ما يعيب الطرفين[1]، يقول:[2]

مَــا بِي مِنْ عَارٍ إِخَـــالٌ عَلِمْتَــهُ** سِوَى أَنَّ أَخْوَالِــي إِذَا نَسَبُـــوا نَهْـدُ**

إِذَا مَا أَرَدْتُ المَجْدَ قَصَّرَ مَجْدُهُــمْ ** فَأَعْيَــا عَلَــيَّ أَنْ يُقَـــارِبَنِي المَجْـدُ**

فَيَا لَيْتَهُمْ لَمْ يَضْرِبُـــوا فِيَّ ضَرْبَـــةً ** وَأَنِّــي عَبْـدٌ فِيهُــمْ وَأَبـــي عَبْدُ**

ثَعَالِبُ فِي الحَرْبِ العَوَانِ فَإِنْ تَبُــخْ ** وَتَنْفَــرِجِ الجُلَّــى فَإِنَّهُــمْ الأَسَــدُ.**

ولو تمعنا هذا الهجاء، لِاستبانت لنا هذه المرارة التي يعانيها عروة من هذا النسب، والعار الذي ألحقه به، حتى نراه يتمنى لو أن أباه كان عبداً لهم أفضل من كونه صهراً لهم.

---

[1] ينظر: عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ص73.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد، ص56.

وعلى الرغم من موقف الشاعر من أخواله، لم يتعرض لأمه بهجاء، وكل ما ذكره هو أنهم كانوا يعيرونه بها، يقول:[1]

أَعَيَرتُمُونِـــي أَنَّ أُمِّـــي نَزِيـــعَـــةً ** وَهَـــلْ يُنْجِـــبِنَ فِي القَـــوْمِ غَيْرُ النَّزَائِعِ.**

وقوله أيضا:[2]

هُـــــمْ عَيَّرُونِـــي أَنَّ أُمِّـــي غَرِيبَـــةٌ ** وَهَـــــلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ يُعِيـــــرُ.**

نضيف إلى ذلك، ما ذكر عن تصرف أبيه حياله كما جاء في الأغاني، "ولقد بلغني أنه كان له ابن أسن من عروة، وكان يؤثره عليه فيما يعطيه ويقربه، فقيل له: أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أترون هذا الأصغر! لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالا عليه"[3]، وهذه الصورة هي التي شاهدها عروة فيما بعد، لكن في مجال أوسع وهو المجتمع؛ الأغنياء الذين تؤثرهم الحياة بكل شيء مع غناهم، وإلى جانبهم الفقراء الذين تحرمهم الحياة من كل شيء مع ضعفهم وحاجتهم.

كما كان لظاهرتي الغنى والفقر سبب في تصعلك عروة وخروجه عن القبيلة، يقول:[4]

دَعِينِي أُطَـــوِّفْ فِي البِلاَدِ لَعَلَّـــنِّي ** أُفِيـــدُ غِـــنًى فِيه لِـــذِي الحَقِّ مَحْمَلِ.**

وقوله أيضًا:[5]

دَعِينِـــي لِلْغِـــــنَى أَسْعَـــى فَإِنِّـــي ** رَأَيْـــــتُ النَّـــاسَ شَرُّهُـــمُ الفَقِيـــــرْ.**

---

[1] المصدر نفسه، ص85.

[2] المصدر السابق، ص81.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص88.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص97.

[5] المصدر نفسه، ص89.

ولذلك كان خروج عروة من القبيلة لأجل نيل الغنى، ومحاربة الفقر، حيث يرى أن الفقير هو شر الناس.

كما كان يرفض أن يكون الثراء أساسًا للسيادة، وبهذا يرفض منطق المجتمع الذي يعيش فيه[1]، فنراه يقول:[2]

مَـــا بِالثَّرَاءِ يَسُـودُ كُلُّ مُسَـــوَّد ** مُثْـــرٍ وَلَكنْ بِالفَعَـــالِ يَسُـــودُ.**

ثم يضع الإطار المقابل الذي يراه، يقول:[3]

بَـلْ لاَ أُكَـاثِرُ صَاحِبِـــي فِي يُسْرِهِ ** وَأصُدُّ إِذْ فِي عَيْشِـهِ تَرْصِيـــدُ***

فَإِذَا غَنَيْتُ فَإِنَّ جَـــارِي نَيْلُهُ ** مِنْ نَائِلِـــي وَمُيَسِّـرِي مَعْهُـــودُ***

وَإِذَا اِفْتَقَرْتُ فَإِنَّ جَـارِي نَيْلُـهُ ** لأَحْيَـى غِنًى مَعْرُوفُـــهُ مَكْـدُودُ.***

فهو حين رفض أن يكون الثراء أساسًا للسيادة والتقدم، حاول أن يجعل لها أساسًا آخر، بالأخلاق في الغنى والفقر، فهو لا يكاثر في يسره أحدًا، ولا يصد عنه في فقره، فينيل جاره نيله ولا يرى متخشعًا لغني بخيل.

لقد كانت هذه الأسباب كافية لجعل عروة يتخذ قراره الحاسم بترك قومه وقبيلته، والانضمام إلى قبيلة الصعاليك، ويعلن بذلك لا انتماءه.

كان عروة بن الورد واحدًا من أبناء قبيلته عبس، وقد ساعد النظام الاجتماعي السائد آنذاك في القبيلة على إحساسه بالظلم، ومن ثم خروجه على هذه القبيلة، واتخاذه

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم سعدي ضناوي، ص115.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص57.

[3] المصدر السابق، ص 57.

* أصد: أجوف وانقطع، *ترصيد: الترصيد في العطاء هو التقليل، *النائل: العطاء، *معروفه مكدود: لا ينال إلا بجهد بعد عسر وإلحاح في السؤال.

السطو والغزو للسلب والنهب وسيلة للعيش، ثم إن موقفه من المجتمع في إطار الصعلكة، يمثل موقف إنسان مفرط في الحساسية، في مواجهة مجتمع فيه من الأسباب ما يدفع عروة إلى الثورة، والخروج على القبيلة، وتفضيل حياة التفرد على الحياة وسط هذا المجتمع.

لقد سبق القول في الفصل الثاني من هذا البحث، أن حياة عروة سارت على وتيرتين: وتيرة الحياة العادية، ووتيرة الصعلكة. فسجلت حياته العادية مظهر انتمائه إلى عبس، في حين سجلت حياته المتصعلكة لا انتمائه، والتي تمثلت بالدرجة الأولى في الرحلة في طلب الغنى.

إضافة إلى وجود بعض الأشعار في ديوانه توحي بعدم انتمائه، ولكن ليس لهذه الأشعار علاقة برحلته في طلب الغنى، وسنتعرض لهذه التفاصيل فيما سيأتي.

ثالثاً – مظاهر اللاانتماء في شعر عروة بن الورد:

1 – الرحلـــــــــة في طلب الغنـــــى:

وجد عروة أن الفقر هو الآفة الخطيرة التي يتوجب القضاء عليها، ومحاربتها، وأيقن أن العلاج الشافي لها هو العمل، ونبد التكاسل والتواكل، لأن تجميع المال لا يكون من دون سعي في طلبه، وتمثل هذا العمل لدى عروة في الرحلة في طلب الرزق والغنى، متخذاً من الغزو والسلب والنهب وسيلة لذلك.

فتمثلت رحلته في محاربة الفقر، لأن الفقر ذل، والفقير مرذول منبوذ، بينما الغني محترمًا، فالفرق كبير بين أن يملك الإنسان المال فيحتاج إليه قومه لينجدهم وقت الشدة، وبين أن يحتاج الإنسان إلى ما عند الآخرين فيطلبه منهم، كذلك الفرق كبير بين إنسان تعطف عليه جماعته وتحميه، وإنسان يتجنبه الجميع فيغدو غريبًا.

أما من اُبتلي بالمصيبتين: تخلي الأهل والفقر، فهو إنسان ميت لا محالة، فإذن عليه أن يرفض هذا الواقع، وينتفح أمامه عالم واسع بعيد الأرجاء غير محدود، تمثل في الرحلة في طلب الغنى والمخاطرة.[1]

فالصعلكة عند عروة هي أن يثور المرء على جماعته التي لم ترع حقه، حق انتمائه إليها، وأن يضرب في الأرض الواسعة يطلب الرزق، "قلعل الأيام تسوق إليه صاحب إبل يجمعها ويحميها، فيسطو عليه و يأخذ ماله ويصيب الغنى"[2]، على حد تعبيره :[3]

سَيَدْفَعُنِـــي يَومًـــا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ ** يُدَافِـــعُ عَنْهَـــا بِالعُقُـــوقِ وَالبُخْـــــلِ.***

إن استعمال صيغة المستقبل في (سيدفعني)، هي محاولة للخروج من واقع الحدث إلى إطار الشمول والدوام، وبذلك يثبت عروة أن العمل هو مطلب دائم له، ويؤكد قوله في الأبيات التالية:[4]

سَتَفْزَعُ بَعْدَ اليَأْسِ مَنْ لاَ يَخَافُنَـــا ** كَوَاسِعَ فِـــي أُخْرَى السَّـــوَامَ المُنْفِرِ***

يُطَاعِـــنُ عَنْهَـــا أَوَّلَ القَوْمِ بِالقَنَـــا** وَبِيضٍ خِفَافٍ ذَاتِ كَـــــوْنٍ مُشَهَّـــــرِ***

يُنَاقِلْنَ بِالشُّمْـــطِ الكَـــرَامِ أُولَى القِوَى** نِقَابُ الحِجَـــازِ فِي السَرِّيِ المُيَسَّرِ.***

يبين عروة في هذه الأبيات خطته في عملية الإغارة على الإبل، وهذا ما يؤكد أن الإغارة والغزو والسلب والنهب هي الطريق الأوحد لنيل الرزق.

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص54.

[2] المصدر السابق، ص55.

[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص90.

[4] المصدر نفسه : ص69.

* الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، *المنفر: المستنفر، *كواسع: الخيل التي تطرد الإبل، *القنا: الرماح، *الشمط: وهو الذي في شعره اختلاف بلونين من سواد وبياض.

رأى عروة وهو أحد أقوياء وشجعان عبس، والذي عانى أيضًا من عقدة الفقر، التي دفعت به إلى محاولة التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل، أن حل مشكلته تكون عبر رحلة المغامرة الباحثة عن غنىً كريم، فاتخذ من السلب والنهب وسيلة للعيش، وفي منظور الجاهليين أن الذي يؤمن بمبدإ القوة يفتخرون بشرعية الاستيلاء على كل شيء عنوة، ولا يعد ذلك "نقصا عندهم ولا شينة ولا سرقة، لأن السالب قد استعمل حق القوة، فأخذ بيده من صاحب المال المسلوب، فليس من عمله جبن ولا غدر ولا خيانة، لذلك فرقوا بين لفظ (سرق) وبين الألفاظ الأخرى التي تعني أخذ مال الغير، ولكن من غير تستر ولا تحايل"[1].

ولذلك تكثر في مقطوعات عروة الشعرية عبارة (أطوف) كثرة تدعو إلى النظر في هذه الجملة المركزية، ومعنى هذه اللفظة هو التنقل من مكان إلى آخر، وفي ذلك دليل واضح على أن التنقل والسير والضرب في البلاد يؤدي حتمًا وفي يوم من الأيام إلى الغنى، يقول:[2]

ذَرِينِي أَطَــوِّفُ فِي البِلاَدِ لَعَلَّنِــي ** أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنِيك عَنْ سُوءِ مَحْضَــرِ**

دَعِينِــي لِلْغِنَى أَسْعَــى فَإِنِّــي ** رَأَيْتُ النـــــَّـــاسَ شَرُّهُــمُ الفَقِيــرُ.**

يوجه عروة خطاباً لزوجته طالبًا منها أن تتركه يتنقل في البلاد باحثًا عن الرزق محاولاً إقناعها بأن السعي غنى، والقعود فقر، والفقير هو شر الناس، لا شيء إلا أنه فقير وحسب، والبيت الأول مقابلة بين البقاء مع الفقر، والتنقل في الأرض سعياً وراء الرزق وهي مقابلة يكثر عروة من إقامتها في شعره، إذ يقول:[3]

---

[1] علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، 1976، ج5، ص ص99، 100.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص ص67، 79.

[3] المصدر نفسه، ص87.

تَقُولُ سَلْيمَى: لَوْ قُمْتَ لَسَرَّنَـــا ** وَلَمْ تَـدْرِ أَنِّـــي لِلْمَقَـــامِ أَطُـوفُ**

فَإِنِّي لَمُسْتَافُ البِــلادِ بِسُرْبَـــــةٍ ** فَمَبْلَغُ نَفْسِــي عُذْرُهَا أَوْ مُطَـوِّفُ.***

تريد سلمى من عروة أن يبقى مقيما بينهم فتسعد به، لكن لم تدر أنه لأجل هذا المقام والبقاء يسير هو في البلاد طالبًا الغنى.

وفي هذا الصدد يقول:[1]

لَعَـلَّ اِنطِلاَقِي فِي البِلاَدِ وَبُغْيَتِي ** وَشُـدِّي حَيَـازِيمَ المَطِيَّـةِ بِالرَّحْـلِ***

دَعِينِـــي أُطَـوِّفُ فِي البِلاَدِ لَعَلَّنِـــي** أُفِيـدُ غِنًـــى لِـذِي الحَـقِّ مَحْمَـلِ.***

يصر عروة دائما على أن الطواف والتنقل في البلاد يؤدي حتما إلى الغنى، وكسب الرزق الذي يعتمد عليه في حياته.

من خلال الأبيات السابقة نخلص إلى القول إن عروة، يرى السبيل الوحيد لنيل الغنى هو المخاطرة والتنقل في البلاد، أما القعود في القبيلة هو أمر قبيح على حد تعبيره، لأن الفقر مذلة ومهانة، وفي الغنى تجلة وعظمة.

وقد يبلغ السعي حدا لا تطيقه الزوجة، فبدلا من كونها لائمة عادلة له على خروجه للمخاطرة، تنقلب إلى محرض على المغامرة والرحلة، وذلك في قوله على لسان زوجته تماضر:[2]

قَالَتْ تُمَاضِرُ إِذْ رَأَتَ مَالِي خَـوَى ** وَجَفَا الأَقَـارِبَ، فَالفُـؤَادُ قَرِيـحُ***

---

[1] المصدر السابق، ص ص90، 97.

[2] المصدر نفسه، ص54.

* المستاف: الذي يقطع المسافات، *السربة: المسي.

* الحيازيم: الصدر، *المحمل: المعتد، *جفا: تجنب، *قريح: أليم، *الندي: المجلس، *نطيح: مشؤوم، *فضوح: كشف المساوئ.

مَالِـــي رَأَيْتُكَ فِي النَّدَي مُنَكِّسًـــا ** وَصبًا كَأَنَّـــكَ فِـــي النَّـــدِيِّ نَطِيـــحُ؟***

خَاطِـــرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً ** إِنَّ القُعُـــودَ مَـــعَ العِيـــَالِ قَبِيـــحُ**

المـــَالُ فِيـــهِ مَهَابـــَةً وَتَجِلَّةً ** وَالفَقْـــرُ فِيـــهِ مَذَلَّـــةٌ وَفُضُـــوحُ. ***

في حين كانت سلمى زوجة عروة تأخذ عليه كثرة غزواته وتحثه على الاستقرار، كانت تماضر تمنع عليه القعود، وتدعوه إلى المخاطرة لأجل الغنى، فما قالته لعروة هو: لماذا أراك قانعا بوضعك المشين، تكون بين الناس في المجلس مطأطئ الرأس دليلا؟ فالقعود في البيت مع النساء والأولاد لا يليق بالرجال، فانفض عنك غبار الكسل والخوف، وارم بنفسك إلى المخاطر علَّكَ تغنم فتغنى، فمن يحوي المال يكسب الجلال والتعظيم والاحترام، ومن يصيبه الفقر يناله الذل، وتنكشف للناس جميع مساوئه لأن الناس يغفرون للغني ما لا يغفرون للفقير.

فهذا شعور مليء الامتهان، ورؤية حادة للعالم عند الصعلوك الفقير، ففي الأبيات السابقة رؤيتان تتبادلان: رؤية الفقير للغني، ورؤية الغني للفقير، وتزدحم عبارات اجتماعية تنم عن اغتراب دفين وشعور بالدونية والقهر[1]، ممثلا في ألفاظه (جفا، قريح، في الندي، منكسا، وَصِبًا، في المال مهابة وتجلة، في الفقر مذلة وفضوح).

وبعد هذا فلا عجب أن يتغير موقف الزوجة العاذلة عند عروة، فتغدو بذلك محفزة، لا لائمة مانعة، إن كان في هذه الرحلة فناء الشاعر، فلابد من أن يتخذها هدفًا، فالزوجة

[1] ينظر: صغير بن غريب عبد الله العنزي، رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (رسالة دكتوراه)، كلية اللغة العربية–قسم الأدب، جامعة أم القرى، إشراف: صالح بن سعيد الزهراني، 1432/1431ه، ص264.

العاذلة هنا هي التي تحبب الموت للشاعر، لأن الموت الحقيق ما رأته فيه[1]، وفي هذا المجال يقول عروة: [2]

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيــَةِ لَمْ أَكــُـــنْ ** جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَتَأَخِــرِ؟***

وَإِنْ فَازَ سَهْمِــي كَفَكَمْ عَنْ مَقَاعِدٍ** لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ البُيــُـــوتِ وَمَنْظَــرِ.***

فعروة في سباق دائم مع الموت، ولا يخاف أن يكون الخاسر، لأنه لن يموت إلا إذا حان أجله، وما من شخص يستطيع تأخير أجله إذا حان، وما إذا كان الفوز بالغنى من نصيبه وخلَّف الموت وراءه، فإن ما يناله من الرزق سيعود خيرًا يعم الجميع، ويصونهم عن مقعد الفقر، ومنظر الذل، وفي هذا دعوة صريحة إلى المخاطرة من أجل الغنى.

إن فلسفة عروة في كسب المال تقوم على المخاطرة والرحلة، وليس لديه بدائل أخرى، لكن مبرراته لها كثيرة، يقول:[3]

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ** شَكَا الفَقْرَ أَوْ لاَمَ الصَّدِيــــقَ فَأَكْثَــرَا**

وَصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنِ كَلاًّ وَأَوْشَكَــتْ ** صِلاَتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكَّـــــرَا***

وَمَا طَالِبُ الحَاجَاتِ مِنْ كُلِّ وِجْهَــةٍ ** مِنَ النَاسِ إِلاَّ مِنْ أَجَـــدَّ وَشَمَــرَّا***

فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسْ الغِنَــى ** تَعِشْ ذَا يَسَـــارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْــذَرَا***

وَلاَ تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلاَ تَنَمْ ** وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْــلَ مَنْ كَانَ مَعْســرِا.***

---

[1] ينظر:المرجع نفسه، ص264.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص67.

* جزوعا: مشفقا، *كفكم: صرفكم.

[3] المصدر السابق، ص77.

إن طواف عروة يحث عن عيش كريم، والمفارقة هنا أن الرحلة هي التي تجلب المقام والاستقرار، لقوله:[1]

أَرَى أُم حَسَّانَ الغَدَاةَ تَلُـــومُنِي ** تُخَوِّفُنِـــي الأَعْدَاءَ والنَّفْسُ أَخْوَفُ***

تَقُولُ سُلَيْمَـــى: لَوْ أَقَمْتَ لَسَرَّنَا ** ولَمْ تَدْرِ أَنِّـــي لِلْمَقَامِ أُطَـــوِّفُ.**

وطواف عروة لا يهدف إلى النفع الذاتي فحسب، بل هو مرتبط غالبا بإنقاذ الآخر "لذا فإن فعل الكرم يغدو عنصرا فاعلا في مواجهة الفناء وقهر الزمن، كما يغدو الطواف مرحلة فعلية سامية للخروج من دائرة السلب إلى الإيجاب"[2]، وهو في جانب منه يمكن أن "يمثل لدى عروة اِعتاقًا من قيود الذل والمهانة في الفقر، فضلا عن أنه مسعى بطولي يتخذه الشاعر وسيلة للتعبير عن معنى الحرية الذي يطمح إليه، وثمة ملاحظة تفيد – أيضا– في بيان جوهر الطواف غالبا ما يقترن بالموت "فإن فاز سهم للمنية، أو تموت فتعذرا، فالموت أجمل"[3].

إن حوافز الصعلكة عند عروة تختلف عنها عند غيره، فعروة يتصعلك يخاطر ويطوف ويغزو لا ليأكل أو يشبع، أو ليدخر زادا يتناوله أيام الجدب والقحط، وإنما كان يؤثر غيره بما يملك، يخص الفقراء والمحتاجين بما هو في مس من الحاجة إليه، ويشاركهم بكل ما يملك، ربما لأنهم هم الذين كانوا السبب المباشر في اختياره حياة

---

[1] المصدر نفسه، ص87.

[2] يوسف عمليات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أ نموذجا)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص58.

* كلاًّ: الكلُّ وهو المصيبة، *أجدَّ: صار ذات جدٍّ، *التمس: أطلب، *دون: تستعمل للتحقير، *أخوّف: أكثر إخافة.

[3] جاسم محمد صالح الدليمي، (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، مجلة جذور، المجلد الثامن مارس 2004، ص152.

الصعلكة والرحلة في طلب المال، فقد أراد أن يحررهم ويحرر نفسه من قيد الذل والفقر[1]، يقول: [2]

أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌ وَزَيْـــدٌ وَلَمْ أَقُــمْ ** عَلَى ندْبٍ يَوْمًا وَلِي نَفْسُ مُخْطِـــــرِ.***

إن عروة معروف بالمغامرة وبتعريض نفسه للخطر، فكيف يهلك بنو زيد وبنو معتم، وهو لا يعزم أن يخاطر دفاعا عنهم؟.

فعد بذلك مسؤولا عن كل واحد منهم والجميع عليه، وهذا السبب لا يمنع من أن يستمر عروة في سلوكه الخاص أبا حنونا لفقراء القبيلة فــ: "عروة لم يكن فقيرا، محتاجا معدما، كما يفهم من لفظة (صعلوك)، لقد كان في وسعه أن يجمع مالاً مما كان يغنمه من غاراته على العرب، فيكون حسن الحال غنيا، لكنه فضل الصعلكة على اكتناز المال، ورجح إشراك الفقراء فيما يغنمه على جمعه له واستئثاره به وحده"[3].

فحين أجدب ناس من عبس استنجدوا بعروة، فخرج بهم ليغنم لهم، يقول: [4]

أَلاَ إِنَّ أَصْحَابَ الكَنِيفِ وَجَدْتُهُمُ ** كَمَــا النَّاسِ لَمَّا أَخْصَبُوا وَتَمَوَّلُــوا!***

وَإِنِّـــــي لمَدْفُوعٌ إِلَيَّ وَلاَؤُهُــمْ ** بِمَاوَانَ وَإِذْ نَمْشِي وَإِذْ نَتَمَلَّلُ**

فَإِنِّي وَإِيَّاكُـــــمْ كَذِي الأُمُّ أَرْهَنَــتْ ** لَهُ مَــاءَ عَيْنِهَــا تُفْدِّي وَتَحْمِـــلُ.**

فهو لم يتصعلك لنفسه فحسب، بل تصعلك من أجل الآخرين أيضًا.

---

[1] ينظر: عروة بن الورد: الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص56.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص69.

* الندب: الخطر، *المخطر: المعرض نفسه للخطر.

[3] علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص412.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص ص92،91.

* الكنيف: جماعة من عبس وجدهم عروة في حالة الضعف والجوع فضرب لهم الكنيف وأطعمهم.

إن النماذج السابقة كشفت عن الواقع وما فيه من مفارقة، كما كشفت عن رفض الشاعر للفقر، ومعاناة الإنسان الجاهلي منه، لما فيه من قسوة، ولهذا يقدم خلاصة تجربته، قائلا:[1]

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَعْبَثْ سوَامًا ولَمْ يُرَحْ ** عَلَيْهِ ولَمْ تَعْطِفْ عَلَيْـهِ أَقَارِبُـهُ***

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِـنْ حَيَاتِهِ ** فَقِيـرًا ومَنْ مَوْلًى تَـدِبُّ عَقَارِبُهُ.**

فالمرء إذا لم يكن مالكاً لإبل وماشية، وإذا لم تعطف عليه أقاربه، فإن الموت خيراً له من الحياة فقيراً لا يلقى من أقاربه سوى الأذى.

إن القبيلة هنا تخلت عن مسؤوليتها نحو عروة ومن معه، ولم يلمس فيها ما يسمى بالتكافل الاجتماعي، فليس فيها من يتحمل عن ذوي قرباه، لقد بخلوا بخيرهم، فلم يكن أمامه إلا أن يستغني عنهم، ويتنقل في البلاد ليصيب الغنى، ويسد فاقته وفاقة غيره من الفقراء، لذا فهذه الصورة التي واجهها عروة لا تطابق الصورة التي قدمها الشعراء الجاهليون للقبيلة الملتزمة بأفرادها، فأين هؤلاء الناس من قوم الخرنق أخت طرفة بن العبد،[2] التي وصفتهم بقولها: [3]

وَالخَالِطُـونَ نَحِيتُهُمْ بِنِضَارِهِـمْ ** وَذُو الغِنَـى مِنْهُـمْ بِذِي الفَقْـرِ.**

أو الذين وصفهم طرفة بن العبد بقولـــــــــــه: [4]

لاَ يُلحُّونَ عَـلَـى غَارِمِهِـمْ ** وَعَلَـى الإِيْسَارِ تَيْسِيـرُ العَسْـرِ.**

---

[1] المصدر نفسه، ص48.

* السوام: الإبل.

[2] ينظر: حنى يوسف عبد الجليل، الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص193.

[3] الخرنق : الديوان، تحقيق: حسين نصار، ط4، مطبعة دار الكتب، 1969، ص30.

[4] طرفة بن العبد : الديوان، اعتنى به: حمدو طماس، ص54.

يبدوا أن عروة كان يخشى أن تمتد به حياة الفقر إلى شيخوخته، ولهذا سعى في طلب المال، وهو شاب، يقـــــــــــول: [1]

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدِبَّ عَلَى العَصَـــا ** فَيَشْمَتَ أَعْدَائِي وَيَسْأَ مَنِـــي أَهْلِـــي**

رَهِينَةَ قَعْـــرِ البَيْتِ حُـــلَّ عَشِيَّـــةٍ ** يُطِيفُ بَيْنَ الوِلْـــدَانِ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ.***

وبذلك تكون النتيجة الحتمية هي الخروج من القبيلة، والمخاطرة لطلب الغنى والرزق، بنفس ثائرة تشعر بظلم واقع عليها، وهو الفقر وجفاء الأقارب، فلا يبقى من الشاعر إذن، إلا أن يحطم كل الأسوار التي أمامه، عن طريق مغامراته ورحلاته وخروجه للغزو، وإطلاقه صرخة في وجه العصر عبر عنها عن طريق شعره.

والخروج عن القبيلة للغزو هو مظهر من مظاهر لا انتماء عروة إلى المجتمع القبلي، أو إلى قبيلته.

2- الحث على طلب الغنـــــــى:

ينطلق عروة من واقع جماعته الذي رآهم عليه، فأثار فيهم نخوة العربي وإباء السيد، وجعل يعطف عليهم ويتولى قضيتهم. إنه يصف هذا الواقع ويسلط الأضواء على ما فيه من استكانة وخنوع ليثير فيهم الاشمئزاز منه، ثم الثورة والخروج عليه.[2]

ولأن صعلكة عروة مركزة في الفقر، فنحن نجد شعره يعالج هذه القضية، ولا يتعدها إلى مواضيع الصعاليك الأخرى التي تتعلق بالحياة الموحشة بعيداً عن الناس، مثل وصف الصحراء، والوحوش...إلخ.

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص89.

* قعر البيت: أقصاه، *الرأل: ولد النعام.

[2] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص67.

فمن أجل ذلك دعا عروة في أكثر شعره إلى الحل الوحيد الذي كان متاحًا للفقراء في عصره، وهو الغزو والحصول على المال بقوة، حجته في ذلك أن القتل يعفي الفقير من الذل ويرفع اسمه بين الناس كبطل مقاتل، وأنه على كل حال سيموت، سواءً قاتل أو خاطر، أو لبث في بيته.[1]

وحاول تعميق هذه القيمة بين صعاليكه، لتصبح سلوكًا دائمًا في حياتهم، والعمل الذي قصده عروة هو الغزو والإغارة لِاغتصاب المال بقوة، فالعرب لم تر في الغارة سرقة ولا منقصة ولا سبة، "بل افتخروا بالغارات، وعد المكثر منها مغواراً لما فيها من جرأة وشجاعة وإقدام.... وقد عاش قوم على الغارات، كانوا يغيرون على أحياء العرب، ويأخذون ما تقع أيديهم عليهن ومن هؤلاء عروة بن الورد، إذ كان يغير بمن معه على أحياء العرب فيأخذ ما يجده أمامه، ليرزق به نفسه وأصحابه بعد أن انقطعت بهم سبل المعيشة"[2]. وقد أكثر عروة من الحث على السعي تنظيراً وطبقه على أرض الواقع، فقد كان يحث صعاليكه على اِغتصاب المال بقوة من أولئك الذين أعمى الجشع والبخل عيونهم وقلوبهم، عن رؤية الفقراء.

ومن هنا لم يكن للصعلوك الكسول المتواكل وضعيف الهمة مكانًا عند عروة، وقد أوضح رأيه صراحة في قوله: [3]

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُـــــهُ ** مُصَافِي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْـــــزَرِ**

يَعُدُ الغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُـــــلَّ لَيْلَـــةٍ ** أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيــقٍ مُيَسَّـرِ**

يَنَامُ عِشَـــاءً ثُمَّ يُصبِحُ نَاعِسًـــا ** يَحُثُّ الحَصَــى عَلَى جَنْبِهِ المُتَعَفِّـرِ***

---

[1] ينظر : نور الدين حمودي القيسي وآخرون، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1399ه/1979م، ص288.

[2] علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص100.

[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: أسماء أبو بكر محمد، ص68.

قَلِيلُ اِلْتِمَـــاسِ الزَّادِ إِلاَّ لِنَفْسِهِ ** إِذَا هُوَ أَمْسَـــى كَالعَرِيشِ المُجَـّوَرِ***

يُعِينُ نِسَاءَ الَيِّ مَــا يَسْتَعِنَّـــهُ ** وَيُمْسِـــــي طَلِيحًا كَالبَعِيرِ المُحَسَّـــرِ**

هي صورة غير محببة يرسمها عروة لصعلوك متخاذل، ضعيف الهمة، اختار من طرق الحياة أسهلها، غير أنها حياة مليئة بالمذلة والهوان، أقصى همه أن يحصل قوت يومه، ويرضى لنفسه في سبيل لقمته، القيام بما تكلفه النساء من وضيع الأعمال.

وفي أبيات أخرى يتحدث عما يضطره إلى الصعلكة، مقارناً بين الصعلوك الخامل الذي يرضى لنفسه حياة الذل والكسل، والصعلوك الأبيّ الذي يغتصب عيشه ومنزلته بين الناس اغتصابًا: [1]

وَلَكِنْ صُعْلُوكُ صَفِيحَـــةٌ وَجْهُـــهُ ** كَضَـــوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَـــوِّرِ***

مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِـــــهِ يَزْجُرُونَـــهُ ** بِسَاحَتِهِـــمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشْهَّـــرِ***

فَإِنْ بَعِدُوا لاَ يَأْمَنُـــونَ اِقْتِرَابَـــهُ ** تَشَوُّفَ أَهْـلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ***

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَـــــةَ يَلْقَهَـــــا ** حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًـــا فَأَجْـــدَرِ**

صور عروة الصعلوك الخامل في إطار الذل والبؤس، في حين رسم للثاني صورة مشرقة جذابة، فتكون بذلك هذه المفاضلة بين النوعين، دعوة ضمنية إلى ترك الخمول والكسل، وإلى طلب الغنى تأمينًا للعيش الكريم، وأدرك أن المال هو الحل لمشكلته ورفاقه "فسعى سعيًا دؤوبًا في سبيل اكتسابه، ولاسيما أن ثنائية: الغني والفقير ماثلة أمامه، ومتجذرة في عمق المجتمع وامتداده"[2].

---

[1] المصدر نفسه، ص69.

* حث: فرك الشيء اليابس عن الثوب وغيره، *المتعفر: المتمرغ في التراب، *العريش: ما يستظل به، *القابس: طالب القبس، *زجره: صاح به ينهاه، *تشوف إلى الأمر: تطلع إليه.

[2] رباح عبد الله علي، مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، إشراف: عدنان أحمد، ص95.

ويتجاوز عروة الفرد في وصفه ليرسم صورة الجماعة، إنهم بنو لبني، أو أصحاب الكنيف، وقد ارتبط التكنف في شعره للتعبير عن حياة الذل والبأس واليأس، يقول: [1]

رَأَيْتُ بَنِي لُبْنَى عَلَيْهِمْ غَضَاضَــةً ** بُيوتَهُمْ وَسَطَ الحُلُولِ التَّكَنُّـــــفِ***

كما أن أصحاب الكنيف صاروا يجسدون فعل عروة الاجتماعي، إنهم الذين أحياهم بعد موات، أحيا فيهم الجسد وبعث فيهم عزة النفس،... فماذا يقول لهم؟، يقول: إن الموت واقع لا محال، فلماذا يجلس الإنسان في انتظاره ولا يذهب لملاقاته؟ أليس الموت في القتال خيراً من الموت جوعًا وهزالاً؟ فليتركوا الخنوع إذن، وليسرجوا المطايا[2]، يقول: [3]

أَقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدُورَ رِكَابِكُمْ ** فَكُلُّ مَنَايَا النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ الهَــــزْلِ***

فَإِنَّكُـــــمْ لَنْ تَبْلِغُــوا هِمَتِي ** وَلاَ أَرْبَى حَتَّى تَــرَوْا مَنْبَتَ الأَثَـــــلِ***

يدعو عروة بني لبنى وهم قوم من عبس، إلى عدم التقاعس، وبالتالي إلى امتطاء الخيل، فينطلق بهم إلى الغزو، وهو يقنعهم بأن هذا أفضل لهم، وإن كان فيه خطر التعرض للموت، فالموت في المعركة، أيًّا كان شكله، خيرًا من الموت جوعًا.

فبالسفر وركوب المخاطر قد يلقون الموت، ولكنهم أيضاً يلقون به الحياة، الحياة الحقيقية المتحررة من لقمة العبودية وذل الجوع. وهذان هما الخياران الذي يضعهما

---

[1] عرو بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد، ص88.

[*] بنو لبنى: لعلهم فرع من عبس، *غضاضة: ذل، *التكنف: الالتجاء إلى شبه الحظيرة.

[2] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم، سعدي ضناوي، ص68.

[3] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص89.

[*] الهزل: الضعف، *أقام صدر المطية: جعلها ترفع رأسها- ويعتدل صدرها، *همتي: هواي ورغبتي، *أربى: حاجتي، *الأثل: شجر ذو أصول غليظة تسوى منها الأبواب والمنابر وغيرها.

عروة أمامهم: إما مغامرة فيها شبع للنفس والبطن، وإما موت كريم[1]، يقول: [2]

فَقُلْ لَهُ أَلاَ أَحْيَا وَأَنْتَ حُــرٌّ ** سَتَشْبَعُ فِي حَيَاتِكَ أَوْ تَمُـــــــوتُ**

إِذَا مَا فَاتَنِــي لَـــمْ أَسْتَمِلـــــــهُ ** حَيَاتِي وَالمُلاَئِـــمُ لاَتَفُـــــوتُ.***

وهكذا يعيد عروة الدعوة إلى المسير، ويكرر الحث على المغامرة، وعلى الرحلة في سبيل الغنى أو الموت دون ذلك. فمتى وضع المرء الموت صوب عينيه سهل عليه إلقاء نفسه في المهالك، وفي ذلك انتصار عليها، وأخذ للحياة غصبا ويقول: [3]

أَقُولُ لِقَوْمٍ فِي الكَنِيفِ تَرَوَّحُــوا ** عَشِيَّةً بِتْنَا عِنْدَ مَــاوَانَ رُزَّحِ***

تَنَوَلُوا الغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ ** إِلَى مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ**

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَــــةً ** وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلَ مُنْجِحِ.***

ويبدوا أن عروة كان مبتلى بجماعة من القعدة قليلي الهمة، يريدون أن يأتي رزقهم إليهم بلا سعي ولا جهد، لذا كثر في شعره الحث على طلب المعاش، ورفض الاستكانة والترفع عن قبول العطاء لأن فيه ذل وصغار، يقول: [4]

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْســـهِ ** شَكَا الفُقـــــرَ أَوْ لاَمَ الَصدِيقَ فَأَكْثَرَا**

وَصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنِ كَلاًّ وَأَوْشَكَــتْ ** صِلاَتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكُّرَا***

فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسْ الغِنَـــى ** تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْـــذَرَا**

وَلاَ تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلاَ تَنَمْ ** وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا؟.**

---

[1] ينظر: عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص68.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص51.

* فاتني: قصرت عنه ولم أدركه، *الملائم: الملاوم وهو الأمر الذي يلام عليه، *الكنيف: حظيرة من الخشب تتخذ للإبل والغنم، *المنجح: الظفر بالشيء، *رغيبة: ما يرغب به.

[4] المصدر السابق، ص77.

* الأدنين: وهو جمع أدنى وهم اقرب العشيرة نسباً، *الخير: الهيئة والأصل، *ازدرى: احتقر، *نهر: زجر.

حيث يشكو المرء الفقر ويكثر من لوم أصدقائه واتهامهم بالتخلي عن مساعدته، يكون هذا المقصر الفعلي، فالعلة هي عن تخليه عن طلب المعاش لنفسه، واللوم يقع عليه لا على الآخرين، فلذا يصبح عبئا يثقل على عشيرته الأقربين، فيميلون إلى التخلص منه، وإنكار صلة القرابة بينه وبينهم. فعليه إذن إن أراد الغنى أن يسعى وراءه، فإذا ناله عاش في نعيم، وإذا مات عذره الناس، فموته خير من رضاه بالعيش الخسيس والاستسلام للفقر. وفي ذلك يقول:[1]

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّـــي ** رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِـــيرُ**

وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُـــهُمْ عَلَيْـــهِ ** وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيــرٌ***

وَيُقْصِيهِ النَدِيُّ وَتَــزْدَرِيهِ ** حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّـــغِيرُ***

وَيُلْفَى ذُو الغِنَى وَلَوْ جَـــلاَلُ ** يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِهِ يَطِيـــرُ***

قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَـــمٌ ** وَلَكِنْ لِلْغِـــــنَى رَبٌّ غَفُورُ***

في هذه الأبيات تتكرر دعوة عروة إلى السعي في طلب الرزق، وإلى رفض الفقر، لأن الفقير محتقر، وهو شر الناس، لذا فاحتقاره شامل يصدر عن الجماعة، كما يصدر عن أقرب الناس إليه، وهي زوجته، وحتى ابنه الصغير يصرخ في وجهه وينهره، بينما الغني يلقى كل التقدير والاحترام ، وغفر الذنوب.

لقد كانت دعوة عروة إلى طلب الغنى، والحث على السعي وراء الرزق واضحة في شعره، ففي كل مقاطعه كان يدعو فقراء قبيلته للتنقل والسير في البلاد بحثًا عن الرزق لعلهم يصيبون به الغنى والغنائم بجهدهم، ولا ينتظرونه من أحد، لأن حياة المخاطرة

[1] المصدر نفسه، ص79.

* جلال: تعظيم، *يطير فؤاده: يخاف، *جمٌّ: كثير وغفير.

والرحلة من أجل العيش الكريم، خير من حياة الاستقرار مع المذلة والهوان، وفي هذا الخروج مظهر اللاانتماء.

3- كثرة لوم الزوجة:

يصور لنا عروة في كثير من شعره لوم زوجته له على مخاطرته، وحرصها على سلامته، وبالتالي فهي تسعى إلى إدخال الوجل والرهبة إلى قلبه حتى تبعده عن المجازفة، التي قد تقضي به إلى المجهول.

فنغم اللَّوم على حياة المخاطر، يتردد دومًا في ديوان عروة، فما إن تراه قد خَفَتَ في إحدى المقطوعات حتى يتصاعد من جديد في غير واحدة منها. إن زوجته في خوف دائم عليه وهو عن الخوف لاهٍ، يقـــــــــــــول:[1]

أَرَى أُم حَسَّـــانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي ** تُخَوِّفُنِـــي الأَعْدَاءَ والنَّفْسُ أَخْـــوَفُ***

لَعَـــــلَّ الذِّي خَوَّفْتِنَـــا مِنْ أَمَامِنَا ** يُصَادِفُهُ فِي أَهْلِهِ المُتَخَلِّـــفُ**

فأم حسان (زوجة عروة) تلومه لأنه يتهيأ للغزو، وتخوفه ما ينتظره من أعدائه، فيرد عليها بأن المخاطر التي تخوفه منها، يمكن التعرض إليها حتى لو بقى بين أهله، وهو بذلك يحاول إقناعها أن الغارة والغزو هما أساس الحياة الكريمة.

فالحياة التي يحياها الصعلوك يحيط بها الخطر من كل جانب، فهو معرض للموت في كل لحظة، هذا الأمر جعل المرأة مهددة بالثكل في كل لحظة، مما دفعها إلى الخوف عليه من هذه النهاية شبه المحتومة.

يظل هاجس الموت يطارد المرأة ويقلق نومها، كيف لا وموت الزوج بالنسبة لها فجيعة لا يعادلها شيء، لذا نجد أن من حقها الخوف عليه، والوقوف في وجهه من أجل

---

[1] المصدر السابق، ص87.

* أم حسان: زوجة عروة سلمى الكنانية.

منعه عن سلوك الحياة التي اختارها، لكنها لا تدري أن هذا السلوك (الصعلكة والمغامرة والمخاطرة) هو الذي يجلب المقام الحسن والاستقرار الدائم.[1]

ولوم الزوجة هنا مرده سلوك عروة في ماله، إذ كان مبذراً لا يستقر المال في يده، مما جعلها تخشى على مستقبلها ومستقبل أسرتها، يقول عروة على لسانها:[2]

تَقُولُ: لَكَ الوَيْلاَتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ** ضَبُوعًا بِرَجْلٍ تَارَةً وَبِمَـــــنْسِرِ؟***

وَمُسْتَثْبِتٌ فِي مَالِكَ العَامِ إِنَّنِـــــي ** أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صَرْمَاءَ مُذْكِـرِ***

فَجُوعٍ لأَهْلِ الصَّالِحِينَ مَزِلَّـــــةٍ ** مُخَوَّفٌ رَدَاهَا أَنْ تَصِيبَكَ فَاحْـذَرِ***

فهي هنا تحذره وتخوفه عواقب هذا الإسراف في الكرم، والتصرف في المال، وذلك بأسلوب الترهيب والتحذير (لك الويلات).

وقد تلجأ هذه الزوجة إلى البكاء من أجل التأثير عليه، إذا لم ينفع اللوم والتخويف، إنها تحاول ببكائها الذي نبع من ضعفها وقلة حيلتها في رده عن غايته، فتحاول بذلك استثارة عاطفته من أجل تحقيق غايتها، يقول:[3]

تَقُولُ: أَلاَ أَقْصِرُ مِنَ الغَزْوِ وَاشْتَكَى ** لَهَا القَوْلَ طَرَفٌ أَحْوَرُ العَيْنِ دَامِعُ***

سَأُغْنِيكَ عَنْ رَجْعِ المَلاَمِ بِمُزْمَـــعٍ ** مِنَ الأَمْرِ لاَ يَعْشُو عَلَيْهِ المُطَاوِعُ***

---

[1] ينظر: أحمد سليمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، ص124.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد، ص ص67، 68.

* الويلات: نزلت بك المصائب، *مستثبت: متأن لا مستعجل، *الأقتاد: أدوات الرحل، *صرماء: ناقة قليلة اللَّبن، *فجوع: تصيب وتؤلم، *مزلّة: مكان الدحض.

[3] المصدر السابق، ص82.

* العين الحوراء: النقية البياض الشديدة سواد الحدقة، *رجع: ترداد، *مزمع: من أزمع الأمر أي مضى فيه وثبت عليه عزمه، *عشا عليه: ظلمه.

اِحتجت زوجة عروة على كثرة غزوه ومغامراته ومجازفته، وتقول هلاَّ كففت عن الغزو؟ وتدعم قولها بالدموع والبكاء، لكن لم ينفع معها شيء عن رده عن موقفه، لأن في المجازفة والمخاطرة غنى ورزق لا محال.

فهيهات لهذا الصعلوك الذي كرس حياته للمخاطرة، أن يقصر كلام زوجته من عزيمته، أو أن تغير من قناعته شيئًا، والشاعر إذ يرفض تحقيق رغبة زوجته ليس ازدراء أو انتقاصًا من شأنها ولكن مبالغة لِما هو فيه وإصراراً عليه، ذلك أن الذي دعاه إلى ذلك هو قناعته التامة وإيمانه المطلق بصواب عقيدته في الحياة والذي يدل على هذا الأمر هو سعيه الحثيث لإقناعها والتهدئة من روعها، عن طريق التحاور معها وإبراز الأسباب التي دفعته إلى هذا العمل- الغزو والإغارة للسلب والنهب- فاِتخذ بذلك من اللوم محفزاً له بتبرير أفعاله وإبراز قيمة تلك المبادئ والأفكار التي يحملها، وقد عمد هذا الصعلوك إلى خلق ما يشبه الحوار بينه وبين عاذلته وهو حوار وديّ يحاول من خلاله إقناعها بوجهة نظره حيث أنه لا بديل عن الغزو والمخاطرة، فإما الفوز بالغنيمة والحياة الكريمة، وإما الموت الذي لا يخشاه[1]،

يقول:[2]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا بِنْتَ مُنْــذِرٍ ** وَنَامِي وَإِنْ كَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَــرِي***

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ فَإِنَّنِي ** بِهَا قَبْلَ أَنْ لاَ أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَــرِي***

أَحَادِيثُ تَبْقَى وَالفَتَى غَيْرُ خَالِـــدٍ ** إِذَا هَوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صَيِّــرِ***

---

[1] ينظر: عبد العزيز بزبان، صورة المرأة في شعر الصعاليك، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية وآدابهان جامعة منتوري-قسنطينة، إشراف: محمد بن زاوي، 2012/2011، ص44.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص67.

*بنت منذر: زوجته سلمى، *ذريني: أتركيني، *البيع والشراء: من الأضداد وكلتاهما هنا بمعنى الشراء، *صيَّر: قبر.

*أخليك: أطلقك، *جزوعا: مشفقا، *كفكم: صرفكم.

ذَرِينِي أَطَــوِّفُ فِي البِلاَدِ لَعَلَّنَـــــي ** أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنِيك عَنْ سُوءِ مَحْضَــرِ***

فَإِنْ فَازَ سَهْـــمٌ لِلْمَنِيــَةِ لَمْ أَكــُنْ ** جَزُوعًــا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَتَأَخِــرِ؟***

وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَكَمْ عَنْ مَقَاعِدٍ** لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ البُيــُـــوتِ وَمَنْظَـــــرِ.***

يحاول عروة برجاحة عقله إقناع زوجته بصحة موقفه، إنه لا يقدم على الغزو والترحال والخوض في مجاهل الصحراء حبًا في ذلك وإنما يفعل ويعرض نفسه للأخطار من أجل تأمين الحياة الكريمة، ولكي يُشهد له بحسن الذكر والقدرة على تحمل المشاق والمغامرة في مجتمع لا يحترم إلاَّ القوي، وبذلك يحقق ذاته ويكسب المجد الخالد والأحاديث الباقية، ورحيل عروة من أجل طلب الغنى وخروجه عن قبيلته يسجل بطبيعة الحال عدم انتمائه لها.

فكثرة لوم الزوجة في الديوان، دليل على كثرة خروج عروة عن القبيلة، وبالتالي لا انتمائه، لأن لا انتماء عروة تمثل في خروجه للغزو.

مما سبق نخلص إلى أن أهم صورة عرض فيها عروة أفكاره هي صورة الجدال الذي كان يدور بينه وبين زوجته؛ الزوجة فيها تعبر عن خوفها عليه وجزعها من مخاطرة الشاعر بنفسه في غزواته التي لا تنقطع، وتبرز في صورة الضعيفة الخائفة عليه واللائمة له، وهو يرد عليها أن الحل الوحيد لهذه المشكلة (الفقر) هو التنقل في البلاد والسعي لمحاربته من أجل العيش الكريم، وبذلك فهو مضطر من أجله وأجلها وأجل المحتاجين أن يحصل على المال، ولا سبيل إليه كما يتصور إلا بالغزو والإغارة.

إن خروج عروة عن قبيلته من أجل الغزو والسلب يعد لا انتماءً، وبديلاً عن الانتماء الذي لزمه الالتصاق بحياة القبيلة، والانقياد لأوضاعها وأعرافها بغض النظر عن عوزه وسبب حاجته المادية، لم يستطع احتمالها في ظل قبيلته، ودلالة ذلك التمييز

الاجتماعي الذي بلغ من تأثيره إلى حدٍ دفع بعض أفراد القبائل إلى تفكيك علاقاتهم بقبائلهم، وبالتالي لا انتمائهم.

4- الخروج إلى أماكن الغزو:

مَثَّلَ خروج عروة للغارات مظهراً من مظاهر لا انتمائه إلى قبيلته، لأنه كما سبق القول أن عروة هو صاحب هذا المظهر.

وتروي له الأخبار غارات منفردة وأخرى جماعية، ويتحدث هو في شعره، عن غزوات يقود فيها صعاليكه العدائين منهم والفرسان، يقـــــــــــــــول:[1]

يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلَ القَوْمِ بِالقَنَـــا ** وَبِيضٍ خِفَـــافٍ ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَرِ**

فَيَوْمًا عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَـــا ** وَيَوْمًـــا بِأَرْضٍ ذَاتِ شَثٍّ وَعَرْعَـــرِ**

يُنَاقِلْنَ بِالشُّمْطِ الكِرَامِ أُولِي القُـــرَى ** نِقَابَ الحِجَازِ فِي السَّرِيحِ المُسَيَّـــرِ**

يحاول عروة في غزوته هذه شرح خطته في عملية الإغارة على الإبل، قائلا: إننا ندخل بين القوم وإبلهم، فبينما يقوم البعض بتنفيرها واقتيادها يلاقي البعض الآخر أصحابها (الإبل) ويقاتلونهم.

ويتحدث في مقطوعة أخرى، "أنه هبط أرض بني التيم مع جماعة من صعاليكه، فمكثوا على ماء هناك، وبعد أيام وردت إبل فيها ظعينة ورجل معه السيف والرمح، ومعه مائة من الإبل، فخرج عروة إليه فرماه بسيف في ظهره، فخرَّ الرجل ميتًا، واستاق عروة الإبل والظعينة حتى أتى قومه"[2]، فقال يروي الأحداث خارج صيغة الماضي معطيًا لها

[1] المصدر السابق، ص69.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي، ص200.

صيغة المستقبل، وفي هذا إمكانية تكرار هذه الغزوة واستمرارها ممهداً لها بِحَثِّ جماعته على الغزو والسعي، يقول:[1]

أَقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدُورَ رِكَابِكُـمْ ** فَكُلُّ مَنَايَا النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ الهَـزْلِ**

فَإِنَّكُـمْ لَنْ تَبْلِغُـــوا كُلَّ هِمَتِي ** وَلاَ أَرْبَى حَتَّى تَـــرَوْا مَنْبَتَ الأَثَـلِ**

رَجَعَتُ عَلَى حَرْسِينِ إِذْ قَالَ مَالِكٌ ** هَلَكْتَ وَهَلْ يُلْحَى عَلَى بَغْيَةٍ مِثْلِـــي؟**

إِذَا مَا هَبَطْنَا مَنْهَلاً فِي مَخُوفَةٍ ** بَعَثْنَا رَبِيئًا فِي المَرَابِئِ كَالجَـــذْلِ**

فهو يخبر صعاليكه أنهم لن يحققوا أقصى رغبته، حتى يروا منْبِت الأُثل، ومنبت في بلاد "القين"[2]، وحرسين هو واد بنجد، وهما جبلان في أرض بني "فزارة"[3]، وهي أماكن كان يغير عليها عروة.

ومن أخبار خروج عروة، ما رواه الأصفهاني: "كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة، تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة يجمع أشباه هؤلاء دون الناس من عشيرته في الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنُفُ عليهم الكنُفُ ويكسبهم، ومن قوي منهم- إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوته- خرج معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبًا، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى"[4]، فقال:[5]

لَعَلَّ اِرْتِيَـــادِي فِي البِلاَدِ وَبُغْيَتِي ** وَشُـــدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّـةِ بِالرَّحْـلِ**

---

[1] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، ص ص89،90.

[2] أبو تمام الطائي، ديوان الحماسة، شرح: التبريزي، ، ج2، ص08.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص178.

[4] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص75.

[5] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص90.

سَيَدْفَعُنِي يَومًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ ** يُدَافِـــعُ عَنْهَـــــــا بِالعُقُــوق وَالبُخْلِ**

ومن أخباره أيضًا أنه كان ينزل بصعاليكه في ماوان[1]، ويجعل منطقة الارتكاز في هذه المنطقة، يقول:[2]

أَلاَ إِنَّ أَصْحَــابَ الكَنِيفِ وَجَدْتُهُمُ ** كَمَا النَّاسِ لَمَّــا أَخْصَبُوا وَتَمَوَّلُــوا!**

وَإِنِّــي لمَدْفُوعٌ إِلَــــــيَّ وَلاَؤُهُـــمْ ** بِمَــاوَانَ وَإِذْ نَمْشِي وَإِذْ نَتَمَـــلَّلُ**

فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَذِي الأُمُّ أَرْهَنَـــتْ ** لَهُ مَــاءَ عَيْنِهَا تُفْدِّي وَتَحْمِـــلُ.**

وفي أبيات أخرى يروي حادثة، أغار فيها على منطقة مزينة[3]، يقول:[4]

تَبغَّ عَدِيَّــا حيــث حَلَّـــتْ دِيَارَهــَا ** وَأَبْنَاءِ عَوْفٍ فِي القُرُونِ الأَوَائِــلِ**

فَإِلاَّ أَنَلْ أَوْسًا فَإِنِّي حَسَبْهَا ** بِمُنْبَطَحِ الأَدْغَالِ مِنْ ذِي السَّلاَسِــلِ**

هذه معظم الغارات التي خرج فيها عروة، والأماكن التي كان يغير عليها، وهكذا تنقضي الأيام: فيومًا على نجد يغيرون، ويومًا على أرض الجبال يأكلون وينعمون.

وهذا المظهر يدور في فلك واحد، وهو الضرب في الأرض من أجل الغنى، وهذا يوضح أو يبين عدم انتماء عروة إلى قبيلته عبس.

سجلت المظاهر السابقة عدم انتماء عروة إلى قبيلته، لكن هذا اللاانتماء كان مؤقتًا فرضته الرحلة في طلب الغنى، وحث صعاليكه على مثل هذه الرحلة، التي تمت بحافز مادي بحت، وإن كان يرفده حافز اجتماعي إنساني عند عروة بالذات.

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص76.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص ص91،92.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص72.

[4] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص99.

لقد قدم عروة مبرراته لخروجه على هذا المجتمع وسخطه عليه، وهي مبررات لا يصلح أن يهملها الدَّارس، فإن من واجبنا عند تقويم عروة أن نعطي لمبرراته اهتمامًا، لأنها تمثل دفاع إنسان عن نفسه في موقفه من مجتمعه وخروجه على المجتمع. وهي وإن كانت متصلة بمجتمع ما قبل الإسلام، فإنها لا تنقطع عن المواقف الإنسانية بعامة، حيث يقف الإنسان من مجتمعه غير راضٍ عن وضعه الاجتماعي، رافضًا لمواقف الجماعة منه، متمرداً على ذلك الوضع[1]، وقد لخص عروة مبرراته في قوله:[2]

هُــمْ عَيَّرُونِـــي أَنَّ أُمِّي غَرِيبَةٌ ** وَهَــلْ فِـــي كَرِيمٍ مَاجِدٍ يُعِيـــــرُ***

وَقَدْ عَيَّرُونِي المَالَ حِينَ جَمَعْتُهُ ** وَقَدْ عَيَّرُونِـــــي الفَقْرَ إِذْ أَنَا مُقْتِرُ***

وعَيَّرَنِي قَوْمِي شَبَابِي ولَمَّتِـــــي ** مَتَى مَا يَشَــا رَهْطُ اِمْــرِئٍ يَتَعَمَّرُ***

وَلاَ أَنْتَمِي إِلاَّ لِجَارٍ مُجَاوِرٍ ** فَمَا آخِــرُ العَيْشِ الَّــذِي أَنْتَظِرُ؟**

فقد عيَّره قومه أن أمه غريبة عن القبيلة، كما عيَّروه الغنى حين اغتنى، وعيَّروه الفقر حين ينفق ويفتقر، أي أنهم عيرَّوه في جميع الأحوال، وبذلك يصرح في البيت الأخير، أنه لا يدخل سباق الانتماء هذا، ويعلن لا انتماءه إلى هذه الجماعة، لأنه لا ينتظر من هذه الحياة الكثير، ويقبل جوار أي من الناس يقع منزله قرب منزل عروة.

5- الخروج عن المُسَلَّمَاتْ:

إضافة إلى خروج عروة عن قبيلته، ورحلته الطويلة في طلب الحياة الكريمة، وبذلك أعلن خروجه عن النظام الاقتصادي الذي رأى خللاً فيه، وتمثل هذا الخلل في فقدان التوازن في توزيع الثروات بين أفراد القبيلة، فتجد الغنى المفرط، وإلى جانبه تجد

---

[1] ينظر: حنى عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص، ص191.

* الكرم: نقيض اللؤم، *المجد: الأخذ من الكرم والسؤدد ما يكفي، *مقتر: فقير.

[2] عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص ص71،72.

* اللِّمة: شعر الرأس حين يجاوز شحمة الأذن.

الفقر المذقع، فكان خروجه ثورة على هذا الظلم الذي عاناه "انطلق عروة من الإحساس بالظلم إلى رفض هذا الظلم، لوجود عوامل دفعته لرفض الظلم، ومكنته من هذا الرفض أيضًا"[1]، فقد وجد عروة أن أولى خطوات التحرر، هي تحرير العقل من رقبة المسلمات والتقاليد التي تقيده وتمنعه من التفكير والإبداع ولعل هذا السبب كان دافعًا لخروج عروة عن قبيلته، وإعلان انسلاخه عنها. ومن هذه التقاليد التي ثار عليها عروة وسخط عليها ورفضها، ما ورد في كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، قال الهيثم بن عدي: "خرج عروة بن الورد إلى خيبر في وقعة ليمتاروا فلما قربوا منها عشروا وعاف عروة أن يفعل فعلهم، قال:

لَعُمْرِي لَئِنْ عَشَرْتُ مِنْ خِشْيَةِ الرَّدَى ** نُهَـــاق حِمَــارٍ إِنَّنِي لَجَـــزُوعٌ***

فَلاَ وَأَلَتْ تِلْكَ النُّفُــوسُ وَلاَ أَتَــتْ ** عَلَى رَوْضَةِ الأَجْدَادِ وَهِـــيَ جَمِيــعُ***

وَقَالُوا: احْبُ وَانْهَقْ لاَ تُضِيرُكَ خَيْبَرُ ** وَذَلِكَ مِنْ دِينِ اليَهُودِ وَلُوعُ***

والولوع بالضم الكذب، يقال: ولع الرجل إذا كذب، فيقال: إن رفقته مرضوا ومات بعضهم، ونجا عروة من الموت والمرض".[2]

رفض عروة ما شاع من أباطيل اليهود آنذاك، إذ زعمت أن من يدخل خيبر فعليه أن يزحف على بطنه ويديه، وأن ينهق عشر مرات كما ينهق الحمار، كي لا تصيبه حماها المشهورة، وهذا الرفض من عروة يدل على شخصية عاقلة وواثقة، ولذا فهو لا

---

[1] حنى عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص، ص191.

* أحب: أزحف وأحبو، *جزوع: كثير الإضطراب، *الروضة: عشب وماء، *عشرت نهاق الحمار: رددت النهيق عشر مرات، *خشية الردى: خوف الموت، *ولوع: تعلَّق (من الحمَّى بالنَّاس).

[2] محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح : محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص ص315، 316.

يرضى بهذه الأباطيل والخرافات، ويرفض أن يَحْبُو حَبْوَ غيره خوف الموت كما يدعون.[1]

نجد عروة بما كان لديه من عقل راجح لا يرى في هذا العمل إلاَّ خرافة وزيفاً، وبهذا فقد صرح بعدم التقيد بهذه التقاليد وبالتالي أعلن لا انتماءه.

6- الافتخار بنفسه:

إن الافتخار والاعتزاز بالقبيلة من أكثر الموضوعات شيوعا في الشعر الجاهلي، نتيجة للوضع القبلي والاجتماعي، وما ينتج عن ذلك من تأثر الفرد وترابط أفرادها، وطغيان شخصية القبيلة من حيث هي على شخصية الأفراد في جملتهم، وإذا كان شاعر القبيلة قد اتخذ على عاتقه مهام عديدة تخص القبيلة، ورأى في شعره سلاحًا لخدمة قبيلته، مثله مثل السيف، فقد جند لسانه ووظف مواهبه من أجلها.

لكن هذا لا ينع من وجود شعراء يفتخرون بأنفسهم وبطولاتهم، وهذا ما حدث مع الشعراء الصعاليك الذين خرجوا عن قبائلهم وتحللوا من الشخصية القبلية.

إذن فمن الطبيعي أن يفخر عروة بن الورد بنفسه، ولكن لم يجعل الفخر موضوعًا ولا حتى غرضًا مقصوداً لذاته، وإنما يأتي في معظم الأحيان من كونه في محيط الصعلكة، المرتبطة بقوة الإرادة والجرأة والمخاطرة والاستهانة بالموت، ممثلاً في فخره بإكرامه للصعاليك، باستثناء قصيدة أو قصيدتين، كان يفخر فيها ببطولاته[2]، من مثل قوله:[3]

---

[1] ينظر: يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، 1992، ص57.

[2] ينظر: عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه، ص319.

[3] عروة بن الورد، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص81.

* الدبر: الظهر، *كرّي: هجومي، *يقدم: يكر، *الهزاهز: الفتن يميز فيها الناس، *الكميّ: الفارس اللابس السلاح، *مقارع: مضارب بالسيف، *المأثور: المحفوظ، *إخلاص الذكورة: أقصى القوة، *بلدة: فلاة وفقر، *محالف القاع: ملازم الفلاة ولا يغادرها، *جازع: مشفق.

أَتَجْعَلُ إِقْدَامِي إِذَا الخَيْلُ أَحْجَمَــتْ ** وكَرِّي إِذَا لَمْ يَمْنَعْ الدُّبْرُ مَانِعُ***

سَوَاءً وَمَنْ لاَ يُقْدِمُ المُهْرَ فِي الوَغَــى ** وَمَنْ دُبْرُهُ عِنْدَ الهَزَاهِزِ ضَائِعُ؟***

إِذَا قِيلَ: يَا اِبْنَ الوَرْدِ أَقْبِلْ إِلَى الوَغَى** أَجَبْتُ فَنَاقَانِي كَمِـــيٌّ مُقَارِعُ***

بِكَفِّي مِنَ المَأْثُورِ كَالمِلْحِ لَوْنُــهُ ** حَدِيثٌ بِإِخْلاَصِ الذُّكُورَةِ قَاطِـــعُ***

فَأَتْرُكُهُ بِالقَــاعِ رَهْنًا بِبَلْدَةٍ ** تَعَاوَرُهُ فِيهَا الضِّبَاعُ الخَوَامِــعُ***

مُحَالِفَ قَاعٍ كَانَ عَنْهُ بِمَعْــزِلٍ** وَلَكِنَّ حِينَ المَرْءِ لاَبُدَّ وَاقِــعُ***

فَلاَ أَنَــا مَمَّــا جَرَّتْ الحَرْبُ مُشْتَكٍ ** وَلاَ أَنَا مِمَّ أَحْدَثَ الدَّهْرُ جَــازِعُ.***

يفخر عروة هنا بأنه يتمتع ببطولة نادرة، تدفعه إلى الإقدام حين يخاف الآخرين، وتجعله يختار نِدًّا في القتال يهرب منه سواه، كما يفتخر بأنه يتميز بالنجدة، يلبي نداء من يستنجد به، فيغدو ملاذاً لهم، ولكن هذا النمط من الحياة يعرض صاحبه للمخاطر، فالحروب لها ويلاتها وجرائرها، وعروة يعرف ذلك ويقبل عليه.

وقوله أيضًا:[1]

وَمَا طَالِبُ الأَوْتَارِ إِلاّ اِبْنُ حُــــرَّةٍ ** طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِي الأَشَاجِعِ***

يذكِّر عروة قومه بأنه كثيراً ما دافع عنهم وأنجدهم وطالب بثاراتهم، وهذا من باب الافتخار بالنفس وبطولاتها.

ويفخر بإكرامه للصعاليك الفقراء المحتاجين من أبناء قبيلته:[2]

---

[1] المصدر نفسه، ص85.

* الأوتار: جمع وتر وهو الثأر.

[2] المصدر السابق، ص ص49،50.

* الناب: الناقة المسنة، *هتيت: من رجل مهت وهتات أي خفيف ومهذار وكثير الكلام، *شتيت: متباعد.

أَفِي نَابٍ مَنْحَنَاهَـا فَقِيـرًا ** لَهُ بِطِنَـــابِنَـــا طَنَبٌ مُصِيـــتُ***

وَفَضْلَةِ سَمْنَةٍ ذَهَبَـتْ إِلَيْـهِ ** وَأَكْثَـرُ حَقِـهِ مَـا لاَ يَفُـــوتُ***

فَإِنَّ حَمِيتَنَـا أَبَدًا حَـــرَامٌ ** وَلَيْسَ لِجَـــارٍ مَنْزِلْنَـا حَمَيْـــتُ**

وَرُبَّـــتَ آثَـرْتُ فِيهَـا ** يَدًا جَاءَتْ تُغِيـــرُ لَهَـــا هَتَيْـــــتُ***

وَقَدْ عَلِمَتْ سُلَيْمَى أَنَّ رَأْيِـي ** وَرَأْيَ البُخْلِ مُخْتَلِـــفٌ شَتِيـــتُ***

يفخر عروة هنا بكرمه الفطري الذي يمنعه أن يشبع بينما جاره يجوع، ويؤكد لزوجته سلمى أن رأيه ورأي البخل مفترقان.

ويقول في موضع آخر:[1]

إِنِّي اِمرؤٌ عَافِي إِنَائِي شَرْكَةٌ ** وَأَنْتَ اِمْرُؤٌ عَافِي أِنَائِـــكِ وَاحِـدُ***

أُقَسِمُ جِسْمِي فِي جُسُومَ كَثِيرَةً ** وَأَحْسُو قُرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَـــارِدُ**

يؤكد عروة هنا فضيلة القِرى لنفسه ويفخر بها، حتى أنه يقبل أن يقسم غذاءه على الآخرين وذلك في قوله (أقسم جسمي في جسوم كثيرة)، كما أنه لا يتناول الطعام وحده بل يشاركه غيره فيه، وفي البيتين معنى واضح للافتخار.

ويقول في طالب القرى مفتخرا:[2]

سَلِي الطّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَـــالِكٍ ** إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْـــزَرِي***

---

[1] المصدر نفسه، ص61.

* عافي: ما يبقى في أسفل القدر من مرق وما اختلط به، *شركة: اشتراك، *قراح الماء: أول الماء والصافي منه.

[2] المصدر السابق، ص78.

* الطارق: القادم ليلا طالب الضيافة، *القرى: إكرام الضيف والإحسان إليه، *تبصّ: تلتمع، *تنزع: تجري إلى المغرب.

أَيُسْفِرُ وَجْهِي؟ أَنَّهُ أَوَّلُ القِــرَى ** وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَـــــرِي***

ويقول في إكرامه للضيف:[1]

أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَـــرَّةً ** وَكُلّ سَمَـــاءٍ ذَاتِ دُرٍ سَتُقْلَــعِ**

فَإِنَّكَ وَالأَضْيَافُ فِي بُرْدَةٍ مَعًــا ** إِذَا مَا تَبِصُ الشَّمْسَ سَاعَةَ تَنْــزَعُ***

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالبَيْتُ بَيْتُهُ ** وَلَــمْ يُلْهَنِــي غَــزَالٌ مُقَنَــــعُ**

أُحَدِثُهُ إِنَّ الحَدِيثَ مِنَ القِـــرَى ** وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَـــوْفَ يَهْجَــعُ**

يلخص عروة هنا في فخره بنفسه، ملامح الضيافة العربية. إضافة إلى الصورة الداخلية التي يرسمها لنفسه، يرسم صورة جسدية، لتكون الصورة مكتملة، يقول في ذلك:[2]

بُنِيتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ بِأَعْظُمٍ ** خِفَــافٍ تَثَنَّــى تَحْتَهُنَ المَفَاصِلَ***

فيفخر عروة ببنية جسده القوية العظيمة، وخفة الحركة.

سجلت المظاهر السابقة لا انتماء عروة وتصعلكه، لكن هذه الصورة من الصعلكة كانت فريدة، لأنها تتركز في محاربة الفقر بالغزو والحصول على الغنائم لنيل الرزق والغنى.

لذا كرس هذا الشاعر عمره وجهده، واتخذ من الصعلكة منقذاً لإصلاح أوضاع بني مجتمعه، فهو لم يستطع صبراً على رداءة الواقع، لذا كان عليه القيام برد فعل، وكان هذا الرد هو خروجه عن القبيلة خروجًا طوعيًا واختياريًا، رافضًا لقوانين وأعراف القبيلة،

---

[1] المصدر نفسه، ص83.

[2] المصدر نفسه، ص98.

* الخلق: صورة الإنسان التي خلق عليها، *تثني المفاصل: كناية عن اللين، *الأعظم الخفاف: كناية من خفة الحركة.

فهو لم يطرد خارج حماها، ولم يُنْفَ منها، أو يخلع، بل اختار بإرادته هذا الطريق، محاولاً بذلك خلق بيئة جديدة يسودها العدل والمساواة، فقدم بذلك عروة الصعلوك النموذج الذي ينتمي إلى القبيلة.

ومثلما أعلن عروة خروجه عن القبيلة، وصرح بعدم انتمائه لها، وإن كان مؤقتًا، وقد مثل شعره أيضًا هذا المظهر، فمقطوعات عروة الشعرية تميزت بخروجها عن نظام القصيدة الجاهلية، حيث استغنى عن الهياكل القاعدية التي قدسها شعراء عصره، وقصد مباشرة موضوعه يعالجه بتسلسل وتواصل ومتابعة، وبلا مقدمات تقليدية، ولم يكن يلتزم بوحدة البيت، بل كان يعطي فكرته حقها وإن امتدت إلى مجال بيتين أو أكثر. وهكذا كان عروة في مقطوعاته: يتناول موضوعًا واحداً، أو هدفًا واحداً يضعه نصب عينيه، ويحاول الوصول إليه من خلال شعره.

ويبدو أن خروج عروة عن نمط الحياة العادية، وإغراقه في الاكتفاء بعالمه الخاص الذي صنعه على هواه، أعطياه من الاستقلال النفسي ما مكَّنه من تجاوز الاتفاقات المتواضَع عليها والمتوارثَـــــــــــــــــــــــــــة.

الخاتمـــــــة

الخاتمـــــــــــــــــــــــــــــــة:

على الرغم من شيوع صوت القبيلة في الشعر العربي الجاهلي، الذي يمثل نتاج الشعراء المعروفين، كما يبدو في المعلقات والأصمعيات وكتب الحماسة ... إلخ، فقد قابل هذا الصوت الرسمي صوتاً فردياً ثائراً، وهو صوت الشعراء الصعاليك، حيث أتيحت الفرصة لصوت الشاعر الفرد أن يظهر ويعلو، كاشفاً عن تمرد صاحبه وثورته.

لقد عاش الصعاليك خارج قبائلهم، وقطعوا كل أمل بالعدالة، وقطعوا كل صلة تربطهم بقبائلهم، وآمنوا بأنهم ظلموا في بلاد تسود فيها القسوة والظلم، فحقدوا على أصحاب الثروة والمال، فملأوا الصحاري رعباً وهولاً، ورفعوا علم الصعلكة عالياً، وفي سبيل غايتهم استخدموا الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وقد تعرضت في بحثي إلى شعر الصعاليك، وبخاصة شعر **عروة بن الورد**، وذلك لما له من علاقة بالانتماء واللاانتماء، حيث توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

- إن المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، إما بمدلوله المباشر وهو التجرد، وإما بآثاره كالضمور والهزال.
- إن تمرد الصعاليك وخروجهم عن قبائلهم، كان وثيق الصلة بالظروف الطبيعية والبيئية الصحراوية، وهو إن لم يكن وليد هذه الظروف، فإن هذه الأخيرة هي أحد أبرز العوامل المؤدية إليه.
- الصعاليك طائفة من المضطهدين، كان أفرادها ضحايا جملة من الظروف الاجتماعية القاسية أهمها: التهميش المجتمعي، فلم يكن أمامهم من خيارات سوى الخروج على سلطة المجتمع، والتمرد على قوانينه، ومحاولة الانتقام منه.
- كان الصعاليك ضحايا غياب العدالة الاجتماعية، فقد وجد قانون الخلع الذي يحرم الفرد بموجبه من حق الحماية، بعد أن يتبرأ منه قومه، فلا يردون عنه أي خطر، بحجة الحفاظ على وحدة القبيلة وتماسكها، ليصير بعد ذلك وحيداً فاقداً للانتماء والحمايـــــــــة.

- إن المحرك الأساس لحركة الصعاليك على اختلاف اتجاهاتهم، هو الإحساس بالظلم العميق، وأن الهدف منها هو رفع الظلم وتحقيق الحرية والعدالة.

فالصعاليك إذن جماعة من الذين احترفوا القتال والغزو وقطع الطريق، وصبروا على الشدائد وقسوة الحياة، والصعلكة هي احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم.

- وجود الصعلكة بقوة في العصر الجاهلي، ثم اختفاؤها تقريباً في عصر صدر الإسلام، ثم عودتها بقوة في العصر الأموي.
- رغم خروج **عروة بن الورد** عن قبيلته، إلا أن هذا الخروج لم يكن دائماً، بل فرضته الرحلة في طلب الغنى.
- وبذلك فقد حقق **عروة** انتماءه الاجتماعي إلى القبيلة من خلال أقواله وأفعاله، وذلك بـــ:

1. دفاعه عن القبيلة كغيره من الشعراء الآخرين لا صعلوكاً.
2. اعتزازه بها.
3. تقديم الولاء لسيّدها.
4. التزم **عروة** –كغيره من شعراء عصره– بالمقدمات الطللية.
5. كما حقق انتماءه أيضاً من خلال تكيفه النسبي مع المجتمع واستقراره الأسري.

أما من حيث اللاانتماء، فقد كان له أيضاً حظ في حياة وشعر **عروة**، إذ تخللت حياته فترات سجلّت عدم انتمائه، وذلك من خلال رحلته في طلب الغنى، وهي التي مثلت لا انتماء **عروة** بالدرجة الأولى، إضافة إلى مظاهر أخرى، وتمثلت فيما يلي:

1. حثه لصعاليكه أو فقراء القبيلة على مثل هذه الرحلة لأجل كسب الرزق، والعيش الحر الكريم.
2. كثرة لوم زوجته له على رحلاته، وهذا دليل على خروجه عن القبيلة في بعض الفترات.

3. إضافة إلى رفضه لبعض المسلّمات والتقاليد والخرافات التي كانت سائدة في مجتمعه فهو بذلك حمل لواء التغيير والتجديد على أساس العقل.
4. جاء افتخاره بنفسه على أساس عصبي ومذهبي بعيدا عن تعصبه للقبيلة.

وفي الختام لا يسعني سوى أن أقول: إن البحث سعى قدر الإمكان إلى تحقيق بعض الأهداف العلمية والمعرفية الممكنة من أجل إفادة القارئ.

آمل أن أكون قد حققت بعضًا من هذا المسعى.

والله المـــــــــــــــــوفق.

قائمة المصادر والمراجع

❖قائمة المصادر والمراجع:

I- القرآن الكريم (رواية ورش).

II- المصادر:

1. الأصفهاني، (أبو الفرج): الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. (د ط)، بيروت، لبنان، ج14، 19، 20، 21، 22، (د ت).
2. ، تحقيق: لجنة من الأدباء. (د ط)، بيروت، لبنان، ج3، (د ت).
3. ، تقديم: محمد حسين الأعرجي. (د ط)، موفم للنشر، ج2، 1992م.
4. الألوسي، (محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: محمد بهجت الأثري. (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د ت).
5. الأندلسي، (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه): العقد الفريد، تحقيق وشرح: محمد التونجي. ط1، دار المدار الثقافية، ج5، (د ت).
6. البغدادي، (عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون. ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، (د ت).
7. التبريزي، (الخطيب): شرح اِختيارات المفضل، تحقيق: فخر الدين قباوة. (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، (د ت).
8. الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر): رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون. (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، (د ت).
9. ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة، تحقيق وشرح: علي عبد الواحد وافي. (د ط)، لجنة البيان العربي، مصر، ج1، 1975م.

10. السكري، (أبو سعيد): شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج. (د ط)، مكتبة دار العروبة، ج1، (د ت).
11. الضبي، (المفضل): المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ط6، دار المعارف، القاهرة، (د ت).
12. ابن قتيبة، (أبو محمد عبد الله مسلم): الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. (د ط)، دار المعارف، ج1،2، (د ت).
13. القرشي، (أبو زيد محمد بن الخطاب): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجاوي. (د ط)، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، (د ت).
14. الميداني، (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد. (د ط)، مطبعة السنة المحمدية، ج1، 1384هـ/ 1955م.

*** الدواوين الشعرية:**

1- الأعشى: الديوان. ط3، دار صادر، 1424هـ/ 2003م.
2- أوس بن حجر: الديوان
3- البحتري: الحماسة، تحقيق: محمد إبراهيم حور وأحمد عبيد. ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ـ المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1428هـ/ 2007م.
4- تأبط شرا: الديوان، اِعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي. ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.
5- أبو تمام الطائي، (حبيب بن أوس): ديوان الحماسة، شرح: التبريزي. (د ط)، مطبعة التوفيق، مصر، ج1، 2، 1322هـ.
6- : شرح ديوان الحماسة، شرح: أبو زكريا يحي بن علي التبريزي. (د ط)، عالم الكتب، بيروت، ج2، (د ت).

7- حاتم الطائي: الديوان. (د ط)، دار صادر، بيروت، 1401هـ/ 1981م.
8- الخرنق: الديوان، تحقيق: حسين نصار. ط4، مطبعة دار الكتب، 1969م.
9- الخنساء: الديوان، شرح: حمدو طماس. ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م.
10- مجهول المؤلف: ديوان الهذليين. ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.
11- زهير بن أبي سُلمى: الديوان، شرح وتقديم: علي عافور. ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.
12- الشنفرى: الديوان، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب. ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/ 1996م.
13- طرفة بن العبد: الديوان، اِعتنى به: حمدو طماس. ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.
14- الطفيل الغنوي: الديوان، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي. ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.
15- عبيد بن الأبرص: الديوان، تحقيق وشرح: حسين نصار. (د ط)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1957م.
16- عروة بن الورد: الديوان، شرح وتقديم: سعدي ضناوي. ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م.
17- : ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد. (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م.
18- عمرو بن كلثوم: الديوان، جمع وشرح وتحقيق: إميل بديع يعقوب. ط2، دار الكتاب العربي، 1416هـ/ 1996م.

19- كعب بن مالك: الديوان، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني. (د ط)، مكتبة النهضة، بغداد، 2010م.
20- النابغة الجعدي: الديوان، جمع وتقديم: عبد العزيز رباح. (د ط)، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1964م.
21- النابغة الذبياني: الديوان، اِعتنى به: حمدو طماس. ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.
22- يوسف شكري: ديوان الصعاليك. ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.

III- المراجع:

1- أحمد إسماعيل النعيمي: الشعر الجاهلي: منطلقاته الفكرية وآفاقه الإبداعية. ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2010م.
2- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. (د ط)، دار الفكر، ج1،2، (د ت).
3- بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني. ط2، دار الفكر، دمشق، 1404هـ/1984م.
4- بوجمعة بوبعيو: جدلية القيم في الشعر الجاهلي. (د ط)، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2001م.
5- حسن نور الدين جعفر: موسوعة الشعراء الصعاليك. (د ط)، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج2، 1428هـ/2007م.
6- حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول. ط4، دار الجيل، بيروت، 1997م.
7- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم. ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ت).

8- حنى يوسف عبد الجليل: الأدب الجاهلي: قضايا وفنون ونصوص. ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

9- رشاد عبد الله الشامي: إشكالية اليهودية في إسرائيل. (د ط)، عالم المعرفة للثقافة والآداب، الكويت، 1997م.

10- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي. ط21، دار المعارف، القاهرة، 1119م.

11- ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك. ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431هـ/2010م.

12- عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرقب: تاريخ الأدب العربي القديم. ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1431هـ/2010م.

13- عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك: منهجه وخصائصه. (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

14- عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية. ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985م.

15- عبد الغني أحمد زيتوني: الإنسان في الشعر الجاهلي. ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، 1421هـ/2003م.

16- عبد القادر عبد الحميد زايد: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي. ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003م.

17- عفيف عبد الرحمان: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا. (د ط)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، (د ت).

18- : الشعر وأيام العرب في الجاهلية. ط1، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م.

19- علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. (د ط)، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، ج4، 5، 1976م.

20- علي حمدان: إشكالية الهوية والانتماء. ط1، المركز الأسترالي العربي، سيدني، 2005م.
21- علي الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي. (د ط)، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1960م.
22- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي: قضاياه، فنونه، أعلامه. (د ط)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، (د ت).
23- فاروق أحمد سليم: الانتماء في الشعر الجاهلي. (د ط)، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1998م.
24- محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون: أيام العرب في الجاهلية. (د ط)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ت).
25- محمد التونجي: المفصل في الأدب. ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م.
26- محمد شحرور: الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة. ط5، دار الأهالي، دمشق، (د ت).
27- محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي. ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.
28- محمد مصطفى هدارة: دراسات في الشعر الجاهلي. (د ط)، دار المعرفة، 1982م.
29- محمد هاشم عطية: الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي. ط3، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1355هـ/1936م.
30- نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري. (د ط)، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999م.
31- نور الدين حمودي القيسي وآخرون: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام. (د ط)، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1399هـ/1979م.

32- يحي الجبوري: قصائد جاهلية نادرة. (د ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.
33- يوسف خليف: دراسات في الشعر الجاهلي. (د ط)، مكتبة غريب، القاهرة، (د ت).
34- : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. ط3، دار المعارف، القاهرة، (د ت).
35- يوسف عمليات: جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أنموذجا). ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م.

VI- المعاجم اللغوية:

1- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1978م.
2- الجوهري، (إسماعيل بن حماد): الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4، دار الملايين، بيروت، لبنان، 1990م.
3- الزمخشري، (أبو القاسم محمد بن عمر): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، 1419هـ/1998م.
4- مجهول المؤلف: قاموس الهدى. (د ط)، المكتبة الوطنية، عين مليلة، الجزائر، (د ت).
5- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب. ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1419هـ/1999م.
6- ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب. ط1، دار صبح، ودار ديسوفت، (د ت).
7- مجهول المؤلف: المعجم الوسيط. (د ط)، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، (د ت).

8- مجهول المؤلف: المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ط2، دار المشرق، بيروت، 2001م.

V-الرسائل الجامعية:

1- أحمد سلمان مهنا: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، (رسالة ماجستير)، قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، إشراف: نبيل خالد أبو علي، 1428هـ/2007م.

2- رباح عبد الله علي: مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، إشراف: عدنان أحمد.

3- صغير بن غريب عبد الله العنزي: رؤية جديدة للعالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (رسالة دكتوراه)، كلية اللغة العربية ــ قسم الأدب، جامعة أم القرى، إشراف: صالح بن سعيد الزهراني، 1431 ــ 1432هـ.

4- عبد العزيز بزبان: صورة المرأة في شعر الصعاليك، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات ــ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، إشراف: محمد زاوي، 2001 ــ 2012م.

IV- المجلات والدوريات:

1- جاسم محمد صالح: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، مجلة جذور، مج8، مارس 2004م.

2- حسين جمعة: (ظاهرة الانتماء في القصيدة الجاهلية)، مجلة التراث العربي، العدد 44، يوليو 1991م.

3- : (الانتماء وظاهرة القيم في القصيدة الجاهلية)، مجلة التراث العربي، العدد 63، نيسان 1996م.
4- علي مصطفى عشا: (جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي)، مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق، ج3، مج 83.
5- محمد عبد الله الجادر: (الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر)، مجلة المورد، العدد2، مج 15، 1986م.

فهرس المحتويـــــــــــــــــــات:	رقم الصفحة
شكـــــــــــــــر وعرفـــــــــــــــــان.	
المقدمـــــــــــــــة.	أ
المدخـــــــــــــل.	02
1- عصر عروة بن الورد.	02
2- البيئة الجغرافية.	06
3- حياة الشاعر عروة بن الورد.	09
الفصل الأول: الصعلـــــــــــــكة والصعاليـــــك.	15
1- مفهوم الصعلكة:	15
- اللغوي.	15
- الصعلكة في الأدب العربي.	16
- الصعلكة وألفاظ أخرى.	19
- الاصطلاحي.	20
2- أنواع الصعاليك.	21
3- طوائف الصعاليك.	23
4- نشأة الصعلكة وأسبابها.	24

5- أشهر أعلام الصعلكة.	37
6- الصعلكة والإسلام.	43
- أسباب عدم توقف الصعلكة في عصر بني أمية.	46
الفصل الثاني: مظاهر الانتمـــــــــــــــــــاء في شعر عروة بن الورد.	52
- تمهيـــــــــــــــــــــــــد.	52
1- مفهوم الانتمـــــــــــــــــاء.	53
- اللغوي.	53
- الاصطلاحي.	54
2- الانتمـــــــــــــاء في العرف الجاهلي.	55
3- الدلالات المختلفة للفظة الانتماء في العرف الجاهلي.	57
4- النظام القبلي ضرورة بيئية.	63
5- الانتماء القبلي.	64
6- مظاهر الانتماء في شعر عروة بن الورد.	67
- الدفاع عن القبيلة.	68
- الافتخار بالقبيلة.	74
- الولاء لسيد القبيلة.	78

- التكيف النسبي مع المجتمع.	79
- الوقوف على الأطلال.	83
- المقدمات الغزلية.	84
- الاستقرار الأسري.	86
الفصل الثالث: مظاهر اللاانتمـــــــــــــــــــاء في شعر عروة بن الورد.	90
- تمهيـــــــــــــــــــــــد.	90
1- مظاهر اللاانتماء في العصر الجاهلي.	91
2- دوافع الصعلكة عند عروة بن الورد.	93
3- مظاهر اللاانتماء في شعر عروة بن الورد.	97
- الرحلة في طلب الغنى.	97
- الحث على طلب الغنى.	106
- كثرة لوم الزوجة.	111
- الخروج إلى أماكن الغزو.	115
- الخروج عن المسلَّمـــــــــــات.	119
- الافتخار بنفسه.	120
الخاتمـــــــــــــــــــــــــــة.	126

قائمة المصادر والمراجع.	128
الفهرس.	
الملخص باللغة العربية.	
الملخص باللغة الفرنسية.	

الملخـــــــــــــــــص:

تناول هذا البحث "جدلية الانتماء واللاانتماء في شعر الصعاليك عروة بن الورد نموذجا"، وهو مكون من مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

تطرقت فيه لعصر الشاعر عروة بن الورد، وبيئته الجغرافية، ثم لمحة وجيزة عن حياته.

ثم تناولت فيه مفاهيم نظرية في الصعلكة والصعاليك، وكذا في الانتماء واستعمالاته في الشعر الجاهلي.

كما رصدت لمظاهر الانتماء في شعر عروة من خلال: دفاعه عن القبيلة واعتزازه بها، وتقديم الولاء لسيدها، وكذا وقوفه على الأطلال واستعماله للمقدمات الغزلية، ثم تكيفه النسبي مع المجتمع واستقراره الأسري.

كما تعرضت لمظاهر اللاانتماء عند عروة وتجلياتها في شعره، من حيث: رحلته في طلب الغنى، وحثه للفقراء على مثل هذه الرحلة، وكثرة لوم زوجته له على حياة المخاطرة، وكذلك خروجه لأماكن الغزو، ثم الخروج عن المسلَّمات والافتخار بنفسه.

أما الخاتمة فتضمنت النتائج التي وصل إليها البحث.

Résumé :

Le sujet de mon mémoire porte sur « la dialectique de l'appartenance et de la non-appartenance dans la poésie des vagabonds (saalik), prenant Orwa ben el Ward comme exemple », il est composé d'un avant propos, d'une introduction, de trois chapitres et d'une conclusion.

J'ai d'abordé l'époque du poète Orwa ben el Ward et son environnement géographique avec un bref aperçu de sa vie.

J'ai ensuite étudié de concepts théoriques du vagabondage et des vagabonds, ainsi que l'appartenance et son emploi dans la poésie prés-islamique.

J'ai observé les aspects de l'appartenance dans la poésie de Orwa ben el Ward à travers son attachement à la tribut qui constitue une source de fierté pour lui et son allégeance à son chef, aussi sa méditation sur les ruines et son emploi des introductions de galanteries (Ghazel) et par le suite son équilibre social et sa stabilité familiale.

Aussi, j'ai abordé les aspects de la non-appartenance chez Orwa ben el Ward et leurs manifestations dans sa poésie à travers sa quête de la richesse à laquelle il incite les pauvres, les reproches répétés de son épouse pour sa vie d'aventures, ses départs pour les guerres, son anticonformisme et son estime de soi.

Et enfin, la conclusion où j'ai rassemblé les principaux résultats auxquels j'ai abouti.